تتابع البنى الحضرية لمدينة بغداد

أ.د. غادة موسى رزوقي
قسم الهندسة المعمارية
جامعة بغداد/ كلية الهندسة
ghadamrs@gmail.com

فراس علي مجيد
قسم الهندسة المعمارية
جامعة بغداد/ كلية الهندسة
mrfirasarch1987@gmail.com

الخلاصة

يتقصى البحث نشوء وتطور مدينة بغداد عبر مسارها التاريخي الطويل، بدءً من استجلاء طبيعة الموقع وخصائصه البيئية قبل الشروع ببناء بغداد المدورة، مروراً بمرحلة وضع خططها واكتمال بناءها في فترة ولاية ابو جعفر المنصور. ثم يسترسل البحث في وصف المراحل التعاقبية للنمو والتوسع العمراني على جانبي نهر دجلة وصولاً الى ما ألت الية بغداد في وضعها المعاصر.

ان التدقيق في ملامح البنية التخطيطية لمدينة بغداد المعاصرة، يوحي باختفاء العديد من الدلالات التخطيطية التاريخية التي زالت او ازيلت ولم يعد لها حضوراً فعلياً او رمزياً في المخططات الحديثة المتتابعة لمدينة بغداد.

من هنا تبلورت مشكلة البحث متمثلة بتلاشي الملامح الاساسية التي منها ومن ترابطاتها تشكلت هوية مدينة بغداد التاريخية.

فرضية البحث: الشحة المعرفية عن اهم الملامح العمرانية والتخطيطية التي اسهمن في رسم ملامح هوية بغداد عبر مراحلها التاريخية المتعاقبة من اهم مسببات قطع سلسلة التواصل في بنية مدينة بغداد.

من هنا تبلور هدف البحث في تأشير ووصف اهم المقومات والدلالات العمرانية والتخطيطية البارزة والتي بالإمكان اعادة احيائها فعلياً او رمزياً لاستعادة هوية بغداد وسماتها التاريخية في المخططات الاساسية المعاصرة.

Succession of Urban Structures of the City of Baghdad

Prof. Dr. Ghada Musa Razouqi ALslik
Architectural department
Baghdad University/college of engineering
ghadamrs@gmail.com

Researcher: Firas Ali Majeed
Architectural department
Baghdad University/ college of engineering
mrfirasarch1987@gmail.com

ABSTRACT

The research shed light on the historic evolution of Baghdad through its long, expansive history. The starting point focuses on the geographic characteristics, and the nature of its habitation, prior to laying the circular plan of Baghdad. Then the research proceeds to cover the stage of building the round city of Baghdad. The research continue to cover the expansion and sequential growth across the banks of Tigris river.

A concentrated attention is devoted to analyses the morphological, geographical and above all the makeup of present day city of Baghdad, pinpointing the apathetic plans, decisions, and actions which completely disfigured the image, and tradition of the old city of Baghdad, behind the delusive slogans of "comprehensive development". From the above ejective acts, the research problem is formulated as: The gradual dilapidation of major components that recall the historic image of Baghdad.

The research assumption thus formulated the causes that lead to the disfigurement of Baghdad historic identity in the consequent plans and policies which gave little or no attention to the historic developmental formation of the city. From the above assumption, the research goal can be stated as "Pin pointing the historic path of development to enclose the salient historic features that makes impact on the present day image of Baghdad.

المقدمة

تتميز المدن التاريخية وخصوصاً مناطقها القديمة ومراكزها الحضرية بكونها تحمل قيماً معنوية متميزة متمثلة بسمات بارزة أعطت لكل مدينة خصوصيتها وانتمائها التاريخي والجغرافي وتمثل إرثا" حضاريا", وتعد مدينة بغداد من المدن التاريخية والتي تتميز بكثر مراكزها التاريخية التي تميزت على مراحل مختلفة من التاريخ، وفي عام 2013م مر على البدء ببناء المدينة المدورة في موقع بغداد 1251 عام حيث بدأ البناء عام 762م وانتهى عام 766م*، ولكن تاريخ بغداد اقدم من ذلك بكثير حيث اتى ذكر اسم بغداد في العديد من المصادر البابلية والكلدانية والآرامية القديمة وكذلك تم ذكر اسم بغداد في الفتوحات الاسلامية و في اخبار الدولة الاموية.

لكن هذه العاصمة التاريخية والمدينة الاسطورية يشوب تاريخها وعمارتها وبنيتها الحضرية الكثير من الغموض، وقلة في المعرفة حول المواقع الحضرية ومخططاتها المتعاقبة زمانياً، وقد مرت بمتغيرات كثيرة سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها، حتى يكاد المخطط الدائري لمدينة بغداد (والذي يعد من اول المخططات الحضرية شاملة لمدينة في التاريخ) يعد غير معرف زمانياً ولا مكانياً, فقلة من المعماريين فقط يعرفون موقع المدينة المدورة من المحيط الحضري للمدينة قديما ومعاصرا، كما ان هنالك نقص وغياب في المعرفة عن الحقبة الزمنية التي عاشتها المدينة المدورة، وكذلك غياب المعرفة عن اهم البنى الحضرية للمدينة وكذلك البنى المعمارية لها ويختلط لدى الكثيرين امرها مع بغداد في جانب الرصافة، كما يختلط امر الرصافة التاريخية مع الرصافة المعاصرة سواء مركز الرصافة التاريخي، او الرصافة بمعنى الجانب الايمن من نهر دجلة.

لقد حظيت مدينة بغداد بكم كبير من الدراسات التاريخية ودراسات الاثارية بدءاً من نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، كما وضعت للمدينة مخططات تم مسحها عملياً تتابعياً.

كما وضعت مخططات اساس للمدينة التي بدأت بالنمو المتسارع بعد اعلان الدولة العراقية المعاصرة عام 1921م، وكان من تداعيات هذا النمو الكبير واحلال التخطيط الحديث في اجزاء كبيرة من النسيج التراثي غياب كثير من ملامح المدينة ومعالمها التخطيطية.

1: البنية الحضرية:

لقد قامت دراسات حضرية متعددة بطرح مفهوم البنية الحضرية التي تعني الوسط او المجال المكاني المحيط بالإنسان، وتضم جانبي الزمان والمكان، ينتج عنها كلُ متكامل يعكس القيم الثقافية والاجتماعية ويمثل نظاما معقدا يتصف بالاستمرارية الحضارية (Rapoport, 1981, pp161-184).

عرف (Amos Rapoport) البيئة بأنها سلسلة من العلاقات بين العناصر الفيزيائية والإنسان، وهذه العلاقة تكون على مستويين، بين العناصر والعناصر الأخرى، او بين العناصر والإنسان، او بين الإنسان والإنسان من جهة أخرى، ويرى أن مجموعة العلاقات التي تكونها البيئة تتصف بالانتظام والتناسق، وتمتلك شكلا وهيكلا، فالبيئة ليست تنظيما عشوائيا، إنما تخضع لنمط من العلاقات الفضائية، ولا تقتصر على العناصر والإنسان، لكنها مترابطة وبدرجات متباينة لتحقيق الفصل الفضائي بين شاغليها (Rapoport, 1977, pp 8-12).

وهذه البيئة يمكن تفسيرها كبنية حضرية، فكل من العمارة والإنسان هي بنى، والبنية تتكون من عناصر وعلاقات بين العناصر. ونستنتج مما سبق ان المهم هي الخصائص العلائقية بين العناصر، وليس العناصر ذاتها، فهي تركز على الوحدة والتماسك، والبنية الحضرية تنشأ من علاقة الجزء بالجزء والجزء بالكل وتعاني (تحولات تتحكم بها قوانين وقواعد دون أن تتعدى حدودها وتذوب بعناصر خارجة عنها).

ويشير المفهوم إلى علاقة الأجزاء ضمن الكل وان معنى الأشياء متجسد في العلاقات الداخلية للعلاقات الكامنة في الشيء نفسه وان العلاقة بين الأجزاء أهم من الأجزاء ذاتها التي تكون قابلة للتبادل مع بقاء العلاقات بينها ثابتة. ولكون الكتل والفضاءات التي بمجملها تكون المدينة هي وسيلة من وسائل الاتصال، أي إن هناك معنى خلف الوقائع المادية والأشكال الماثلة في الوجود، فقد اعتبر بعض الباحثين إن المدينة هي مجموعة تعابير تحاول إيصال معنى معين إلى متلقٍ من خلال شخصيتها المادية في الحدود، الطرائق، والفضاءات، والعلاقات وأساليب حركتها. وهذه يمكن اعتبارها علامات توضيحية ومفردات محددة للمعنى ضمن نص متكامل يحاول إبراز المعنى الكامن خلفه، هذه المعاني التي ترشحت من حضارة وثقافة معينة واكتشفت مدلولاتها من خلال علاقات الأشياء مع بعضها البعض (عزيز، 1998، ص9).

وصف (Aldo Rossi) بنية النسيج الحضري من خلال مفهوم الفضاء، فالمدينة بحسب تعريف (Rossi) مجموعة من السطوح, ما يميز خصائصها الثابتة هو تنظيمها الفضائي (Rossi 1982/p 62) , وعرف (David Gosling) البنية الحضرية من خلال مجموعة من العناصر والقواعد التي تربط تلك العناصر وتشبهها باللغة من حيث وجود حروف أبجدية وقواعد تربطها للحصول على بنية لغوية، وفي الموسيقى لابد من وجود نوتة موسيقية ترتبط بطريقة مميزة في التنظيم للوصول الى الألحان المميزة، وأشر وجود تقارب كبير بين البنية الشكلية

والبنية الوظيفية للنسيج الحضري، في كلا البنيتين يظهر التغير في الهيئة من خلال التغيير في العناصر والعلاقات، وان طبيعة هذه العلاقات بين العناصر تتغير بتغير التوجهات الفكرية والحضارية (Gosling 1984/p152).

كما بين (Rapoport) أن البنية الحضرية تنتج عن علاقة الكتلة بالفضاء والعلاقات المختلفة قد تنتج أشكالا وهيئات حضرية مختلفة باختلاف العلاقة بين الكتلة والفضاء، وأشر إن المدن الإسلامية ذوات بنية داخلية، أي المدن التي تنفتح فضاءاتها الى الداخل من خلال طبيعة العلاقة بين الكتلة والفضاء في حين إن المدن الحديثة هي مدن الانفتاح نحو الخارج (Rapoport 1977/p10).

من هذا يتبين إن بنية النسيج الحضري تتشكل من مجموعة من البنى التي (عناصر أساسية) هي (الكتلة – الفضاء – والخصائص العلاقاتية بين نظم الفضاءات والكتل)، وان العلاقات التي بين هذه العناصر الاساسية واختلافها هي ما تحدد النسق الحضري، وان طبيعة هذه العلاقات بين الكتل والفضاءات يعكس طبيعة الفكر الذي تمثله.

لقد تناولت دراسة (Curran) ودراسة McCluskey) الخصائص الموضعية للبنية الحضرية من خلال مفهوم النسق الفضائي المقترح في هيكلة النسيج الحضري، ثم دراسة عناصر بنية النسيج الحضري. فقد عرف (Curran) البنية الحضرية على وفق أنماط نظم الحركة المعتمدة في هيكلة الفضاء المفتوح من خلال تحليل المخططات لمدد زمنية مختلفة, وقد صنف (Curran) الفضاءات المفتوحة الى فضاءات خطية وفضاءات متجمعة، وأكد أهمية العلاقة بين الفضاءات الخطية والفضاءات المتجمعة بوصفها العناصر الأساسية في بنية النسيج الحضري، وأشر العلاقة بين العنصرين الأساسيين من خلال طبيعة ارتباط الفضاء التجميعي بالفضاء الخطي، وقسم الفضاءات التجميعية الى فضاءات استراتيجية وفضاءات مركبة وفضاءات معزولة، إذ تنتج البنى الحضرية من اختلاف العلاقات الفضائية بين الفضاءات الاتجاهية والفضاءات التجميعية (Curran, 1983,p 79).

أما (McCluskey) فقد أكد الخصائص الموضعية للفضاء الحضري (المكان) و (المسار) من خلال تأكيده على استمرارية واجهات المباني والارتفاعات في تحقيق الاحتواء الفضائي شكل، وحدد عدداً من الخصائص الموضعية للكتلة التي تعزز الاحتواء الفضائي (McCluskey,1972,p 108-110):-

- اتجاه الشارع (استمرارية الواجهات واستمرارية الفضاء الحضري).
- عرض الشارع (ارتفاع المباني بما يتناسب مع عرض المسار لتحقيق الاحتواء).
- التقاطعات (تأكيد وتعريف واجهات المباني التي تعرف تقاطعات مسارات الحركة).
- الشواخص.

وقد أكد (Colin Rowe) في بحثه المستمر عن علاقة المبنى بالفضاء الحضري أهمية الواجهات الأمامية والخلفية والركنية للعمارة في تعريف الفضاء، وكذلك ارتباط المبنى بالأرض لاحتواء الفضاء وتعريف حدوده، مما يعكس الملمس في المخططات من خلال قراءة العلاقة بين الكتلة والفضاء في تشكيل النسيج الحضري, وبطرح كتابه الموسوم (Collage City) والمنشور عام (1976) ثم مجموعة مقالاته المنشورة تحت عنوان (Grid/Frame/Lattice/web) والمنشورة في (Cornel Journal) عبر فيهما عن أفكار في هيكلة المدينة من خلال العلاقة بين الكتلة والفضاء، عن طريق تحويل المخططات الى رسوم بالأبيض والأسود، التي تعكس طبيعة العلاقة بين الكتلة والفضاء والمعتمدة على نظرية الكشتالت (Gestalt)، وطور مفهوم (الكتلة – الفضاء) ويعد كل منهما العنصر الأساسي في بنية النسيج الحضري، وعلاقة الكتلة بما يحيطها من خلال خصائص (الملمس والنمط والحافة والمحور) بوصفه رد فعل ضد الصورية في التصميم الحضري، والارتباطات الاجتماعية، إذ حلل المدينة بوصفها نصاً معزولاً عما حوله من المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية (Rowe 1998/p95) .

وأكد على ثلاثة مبادئ أساسية في تحليل البنية الحضرية:-

مبادئ الـ(Gestalt) في دراسة علاقة (الحقل – الملمس – الحافة) وعلاقة الشكل بالخلفية.

السياقية.

اما (Alexander) فقد اكد في كتاب (A New Theory Of Urban Design-1987) على أن المدن الحديثة قد دمرها النمو الحديث، والهدف هو البحث عن الفضاء الموجب وتأكيد مركزية النمو الحضري من خلال خمسة مكونات أساسية في بنية النسيج الحضري وهي (المباني، ومحاور حركة المشاة، والفضاءات المفتوحة "الحدائق العامة"، وشوارع الحركة، ومواقف السيارات) من خلال التعامل مع العناصر الأساسية في بنية النسيج الحضري للمدينة بوصفها مراحل ديناميكية متداخلة، وبهذا نحصل على فكرة المدينة المتكاملة شموليا مرة أخرى. أكد (Alexander) تعريف بنية النسيج الحضري من خلال تعريف محاور المشاة إذ إن ارتباطات محاور المشاة تعرف النسيج الحضري، في حين أن اعتماد المدن الحديثة مبدأ التدرج الوظيفي في التنطيق وفي العلاقات بين أجزاء المدينة وعزل الفعاليات المختلفة أدى الى تجزئة نسيج المدينة.

كما أكد فكرة المركز الحضري الذي تتداخل فيه الفعاليات مقابل التدرج الفضائي إذ يظهر التكامل الشمولي في مراكز المدن التقليدية، بينما تبنى المدن الحديثة وفق أجزاء موضعية فيكون الكل مجموع من أجزاء موضعية ولا يمتلك كياناً خاصاً مميزاً (Alexander 1987/p93).

اما (Gosling) فقد قدم في طروحاته وصفا للبنية الحضرية من خلال أجزائها الموضعية ومن خلال تأكيد المسار والعقد وتحقيق الارتباط بين مسارات الحركة لتنتج أجزاء مميزة موضعيا ومن خلال ارتباط الأجزاء الموضعية ينتج الهيكل الشمولي للبنية الحضرية. وأكد حركة المشاة والساحات وتحديد فكرة المكان والاتجاه من خلال تأكيد التسلسل الفضائي بين البيئة القديمة في المدينة والأجزاء الحديثة، وفي تعريف المكان أكد الخصائص الموضعية للسطوح المحيطة بالفضاء من حيث ارتفاعاتها ودرجة احتوائه، إلا أن الدراسة في مجالها العام والأوسع كانت تؤكد مسارات الحركة والقطاع، وأهمية العقد في بنية النسيج الحضري (Gosling 1984/p 154).

ومن خلال تحليل عدد من النظم الحضرية التقليدية على وفق عنصري محاور الحركة و العقد، أكد (Gosling) أهمية الارتباطات الموضعية لمحاور الحركة في تحديد الخصائص الشمولية للبنية الحضرية.

يتأكد هنا ان البنية تتشكل من علاقات أساسية ترتبط بقواعد نسقية تعطي للبنية خصائص اسماها بعض الباحثين بالشمولية، وهي مغايرة لخصائص العناصر، والبنية تحمل مجموعة من التحولات وهي ليست شكلاً ساكناً، ويمكن تعريف بنية النسيج الحضري بأنها تتشكل بشكل اساسي من مكونين أساسيين (مغلق) وتمثل أصغر وحدة كتلة مفتوحة، وتمثل نواة لفضاء مفتوح. ترتبط المكونات المغلقة مع بعضها والتي بتشكيلاتها تعرف الكتل الحضرية، أما المكونات (المفتوحة) فأنها بتجميعها تشكل المحيط الكلي ويعرف الفضاءات الحضرية الذي يربط الكتل الحضرية، ويميز العلاقة بين الكتلة والفضاء المفتوح عن النسق الحضري.

كذلك أوضحت الدراسات أن البنية تتكون بالأساس من بنية أساسية تسمى (بنية عميقة) تشكل وتؤثر في التشكيل واخرى التي تسمى (البنى السطحية) وتظهر البنى السطحية نتاجاً للتحولات المتعددة التي تحصل من خلال ثبات البنى العميقة التي تولدها.

ووفق ما ذكر فان بنية المدينة هي انعكاس لحالة العلاقات في صورة المدينة حيث تدخل اجزاؤها في علاقة مع الكل وفق قوانين خاصة بها تحكمها سلسلة من التحولات تعمل على خلق وبلوغ حالة التوازن الشامل بفضل قدرتها على الضبط الذاتي، وتعد المدينة حية بمقدار استمراريتها وفق خصائص البنية – حيث تمر بتحولات في بناها السطحية مع ثبات بناها العميقة. (الجمالي، 2004، ص44).

1-1- مفردات البنية الحضرية:

يتضح انطباق خصائص البنى وعلاقاتها على البنية الحضرية ومنها بنية المدينة – ويمكننا ان نرى ان المكونات الاساسية لهذه البنية تتمثل من خلال نواتي الفضاء والكتلة والخصائص المرتبطة بانساق الفضاءات والكتل، وهذا ما يعطي للبنية الحضرية خاصية مهمة جداً هي ارتباطها بالمكان.

هذا على المستوى الفيزياوي، اما من ناحية القيم المرتبطة بالهوية والمكونات الاجتماعية والثقافية والديموغرافية تكون للبنية الحضرية بنى عميقة وبنى سطحية مرتبطة بالمكونات والخصائص الثقافية، والبعض يدخل في علاقات (ركزيه او مباشره) مع البنى الفيزياوية من خلال مكون (الشكل) وارتباطه بالذاكرة والاخر يدخل في علاقات سطحية مع المكونات الفيزياوية للفضاء والكتلة.

وقد جرت عدة دراسات لتصنيف مكونات البنية المكانية ، استندت معظمها على دراسة (Lynch) الرائدة (The Image of the City,1960) التي سبق ذكرها والتي اثبت فيها ان المدينة او اية بيئة مبنية تكون قادرة على توليد صور ذهنية قوية ومتماسكة عند أي متلقي، اذا كان من الممكن فهمها بصيغة انماط شكلية (Formal Patterns) ذات استمرارية وحضور عاليين مع وجود مجموعة من الاجزاء المتميزة عن بعضها والمتفصلة بشكل واضح ومقروء.

1-1-1-صورة المدينة:

قدم لنج منذ الستينيات طرحة المشهور حول صورة المدينة Image of the city بكونها بنية لها سلسلة من العناصر النمطية وهي مهمة لهيمنتها البصرية كتلميحات للتوجيه وكعلامات لخصائص اجتماعية او تاريخية او وظيفية للمدينة. وقد حدد عناصر البناء الفيزيائي الخمس لهيكل المدينة التي يستخدمها الناس عادة في بناء مخططاتهم الذهنية (Mental Schemata) عن المكان وهي : المسارات (Paths) والحافات (Edges) والقطاعات (Districts) والعقد (Nodes) والمعالم (Landmarks)، ولأجل استخلاص مفردات البنية الحضرية بربط المكونات الفيزيائية مع المكونات الثقافية والادراكية سيتقصى البحث ثلاثة طروحات اساسية بدءاً ب(صورة المدينة).

ورغم كثرة تداولها الا ان طرحها هنا باختصار جاء لأهميتها ولاستخلاص مفردات البنية الحضرية.

- **المسارات Paths**
- **الحافات Edges**
- **القطاعات Districts**
- **العقد Nodes**
- **المعالم Landmarks**

1-1-2-1- الكتل الحضرية :

تتمثل الكتل الحضرية بحجم ونسق وارتفاع الاجزاء الكتلية واسلوب ترابطها كأبنية وشواخص، وتظهر المقومات المختلفة كأنماط وانساق تحدد الجانب المورفولوجي للمدينة او البنية الحضرية، (الاشعب، 1983، ص10)، وتشكل الكتل مجموعة متلاحمة تنتشر في مجالات تحددها الطرق ويقسمها جزئياً التقطيع، وهو يشكل الاستعمالات الحضرية المملوءة ، ويمكن تمييز ثلاثة أنماط اساسية لأنواع الكتل الحضرية:

- نمط الكتل المستقلة (تكوين منفصل).
- نمط تشكيل بين الكتل (توازي – تقاطع – تمركز – خطية).
- نمط الفضاءات الداخلية : وتظهر الكتل البنائية في هذا الاتجاه ملتحمة او شبه ملتحمة مع بعضها وتلتف حول الفضاءات الداخلية (Henry, 1990, p31).

1-1-2-2- الفضاءات الحضرية :

تمثل الفضاءات التي تتوفر من خلال انماط الكتل وانساقها واسلوب ترابطها ويسهل الاحساس بالفضاءات عندما تحدد بكتل الابنية، وكلما التئمت الكتل مع بعضها يزداد انغلاق الفضاء وتحديده، وتعتمد درجة الانغلاقية على النسبة بين ارتفاع المباني المحيطة والمسافة الافقية بينها، وهذا ما امتازت به المدن التقليدية.

لقد أكد كولن (Cullen) (Cullen, 1961, p11) على ان ظاهرة ترابط الابنية قد تعطي متعة بصرية اعلى من رؤيتها بصورة منفصلة، وهذه النقطة قد تم تأويلها بمصطلح (التعقيد البصري) الذي يوفره الترابط المذكور اعلاه كمصطلح مضاد للـ (انفرادية) . ويؤثر تخطيط النسيج العمراني لأية مدينة على مخططها البصري وكذلك على اماكن وضع العناصر البنيوية فيها.

لقد تمت دراسة انماط الفضاءات الحضرية وطبيعة تعريفها بالكتل الحضرية في دراسات المدن، وقد ظهرت التكوينات الحضرية عبر التاريخ، فضلاً عن التكوينات الشبكية في الحداثة وصيغ متعددة من الربط بينها.

1-1-2-3- استعمالات الارض :

ان استعمالات الارض في المدينة ما هي الا نتاج السلوك الفردي الجماعي للسكان كافة بدافع من قيمهم ومثلهم، والسلوك الانساني هو التصرفات الفردية والجماعية التي تؤثر وتتأثر باستعمالات الارض، وعبر الزمن ارتبطت فعاليات الانسان بحالة من (تنطيق) مكاني لهذه الفعاليات فنشأت مناطق سكنية ومناطق تجارية ومناطق حكومية او عامة او دينية – فضلاً عن ظهور تداخل تكاملي بين هذه الاستعمالات التي مثلت وظائف المدن، وهذه الفعاليات والاستعمالات انعكست فيزياوياً بالأنماط السابق ذكرها على مستوى الكتل الحضرية والفضاءات الحضرية، فالأنماط الفضائية تعد انعكاساً وليس اقحاماً على طريقة حياه الناس وانعكاساً للثقافة والقيم والسلوكيات التي تمثل الهوية المميزة للمجموعات الثقافية والاجتماعية.

فضلاً عن ذلك فان هناك عوامل اخرى تؤثر في استعمالات الارض داخل المدن يمكن ايجازها: (حيدر،1999، ص151).

العوامل الطبيعية Natural Factors، العوامل الاقتصادية Economic Factors وتقسم الى (قيمة الارض Value Land، عامل المنافسة Competition، عامل النقل Transportation)، العوامل التقنية Technological Factors، تغير نمط الاستثمار العائد على قطعة الارض Change in the Pattern of Land Investment، التغير في نمط الاستثمار المجاور Change in the Pattern of Investment Next to the Activity.

تسهم هذه العوامل ، مجتمعة او منفردة في توزيع استعمالات الارض داخل نطاق المدن، وتنعكس استعمالات الارض الحضرية والتي تمثل علاقات اجتماعية واقتصادية ضمن البيئة الحضرية كفعاليات ونشاطات مختلفة معرضة للتغير نتيجة هذه العلاقات.

الطرح الثالث الذي يتم تقصيه في استخلاص مفردات البنية الحضرية هو مفهوم الشبكة الحضرية urban web حيث تطور مفهوم العقدة ليعني عقد العناصر الطبيعية وعقد الفعاليات الانسانية والعقد المعمارية كما تطرح الترابطات بينها وكذلك التدرجات الهرمية لهم.

1-2- الشبكة الحضرية Urban Web :

يطرح Nikos Salingaros مصطلح الشبكة الحضرية Urban Web ويعرفها على انها:

البنية التنظيمية المعقدة الموجودة اساساً في الفضاء بين البنايات، فكل بناية تحوي او تأوي واحدة او اكثر من عقد الفعاليات الانسانية وتتشكل الشبكة الحضرية من العناصر الخارجية والعناصر الرابطة بين تلك العقد كالمماشي والمناطق الخضراء، الجدران الحرة والطرق وغيرها. (Salingaros, ,2002,p2).

تتولد الشبكة الحضرية من مجموعة من العمليات التي تحدث ضمن مجموعة من العناصر التي تشكل المبادئ البنيوية الحضرية وهي العقد والترابطات والتنظيم الهرمي.

1-2-1- المبادئ البنيوية للشبكة الحضرية – Structural Principles of Urban Web :

- العقد Nodes:

تتمركز الشبكة الحضرية حول عقد الفعاليات الانسانية والتي من تفاعلاتها مع بعضها تتشكل الشبكة، هنالك انواع مختلفة من هذه العقد كالبيت، العمل، المتنزه، المخزن، المطعم، الكنيسة...الخ، وتعمل العناصر الطبيعية والمعمارية على تعزيز عقد الفعاليات الانسانية ومساراتها الرابطة.

- الترابطات Connections:

هي شكل من العلاقات والروابط ثنائية الاتجاه، تصل بين عقد الفعاليات الانسانية، ان اقصر الترابطات من عقدة الى اخرى هي الخط المستقيم ولكن بعض تلك العقد تحتاج الى طرق منحنية الشكل احياناً واخرى متعرجة، وتعرف المسارات الناجحة كحافة Edge بين مناطق تخطيطية متغايرة وتتشكل على طول الحدود الفاصلة بينها.

- التنظيم الهرمي Hierarchy:

تنظم الشبكة الحضرية نفسها بان تخلق تنظيما هرميا من الترابطات على مستويات مختلفة من المقياس فتصبح متعددة الترابطات ولكنها ليست فوضوية فالعملية التنظيمية تتبع ترتيباً محكماً، بدءاً من المقياس الصغير (المماشي) وصولاً الى الاعلى مقياساً (الطرق متعددة السعة)، ان هذا النوع من التسلسل الهرمي لايمكن ان يتشكل بصورة مفاجئة ومرة واحدة ولكن تدريجياً عبر الزمن.

1-2-2- طبيعة الترابطات في الشبكة الحضرية:

يتطرق البحث الى الترابطات Connections لما لها من اهمية في تشكيل الشبكة الحضرية وصورة المدينة، ان الترابطات في التصميم الحضري تربط ثلاث انماط من العناصر مع بعضها البعض. (Salingaros,2002,p4).

- العناصر الطبيعية Natural Elements:

كحافة النهر او مجموعة الاشجار او كعقد من المزارع الخضراء.

- عقد الفعاليات الانسانية Human Activity Nodes:

فالفعاليات الانسانية هي التي تعرف العقد، كالمناطق الطبيعية والمناطق السكنية والتجارية.. الخ ويعزز من عقد فعالياته الحيوية.

- العناصر المعمارية Architectural elements:

وتتضمن كل ما يبنيه الانسان لربط العناصر الطبيعية ويعزز من عقد فعالياته الحيوية.

ان جزءاً من الترابطات التي يقترحها Salingaros تكون بصرية ومرئية وتشكل صورة الترتيب الحضري للعناصر في المشهد الكلي، والاخرى قد تكون انساق ضمنية وترابطات غير ظاهرة. (Salingaros,2002,p3).

1-3- استخلاص مفردات البنية الحضرية:

ان الاساس الذي تم بناءه من قبل لنج حول ما يمكن ان يعتبر (مكونات اي كيان حضري), و هي خمسة مكونات : المسارات paths , الحافات edges , القطاعات districts , العقد nodes والشواخص أو العلامات الدالة landmarks، يبقى صالحاً للتحليل ولكن تتم مقارنته بالأطروحات الاخرى وصولاً الى المفردات النهائية التي ستستخلص بالبحث.

1- **المسارات – تبقى المسارات من اهم المفردات على المستوى الحضري، وهي اساسية على المستويات الفيزيائية واساسية على مستوى الادراك والوضوح في البنية الحضرية.**
2- **عقد الفعاليات الانسانية – حيث تلعب الفعالية الانسانية الاساس الذي تنشأ منها استعمالات الارض، فمنها تلك التي تستمر ومنها تلك التي تتوقف او تتغير عبر الزمن، وحيث ان المدينة كيان حي وليس مجموعة كيانات فيزيائية فقط فيتم اضافة عقد الفعاليات البشرية كتصنيف للعقد في المكون الحضري، ان هذه العقد تغطي مكون القطاعات وبنفس الوقت تربط التكوين الفيزياوي بالنمط الوظيفي والاستخدامي.**
3- **الحافات – وتمثل كل من الحافات الطبيعية كالانهار والحدود الطوبوغرافية وتلك المقامة من قبل الانسان كالاسوار.**
4- **ونستخلص ايضاً العلاقة الثانية المتمثلة بالترابطات بين العلاقات وتدرجاتها وتوضع كالاتي:**
   - **الترابطات او التدرج الهرمي للعلاقات.**
5- **ان الشواخص التي اعتمدها لنج هي المستوى الدلالي الوحيد قد تم تضمينها في الاطروحات الدلالية الايحائية حيث تطرح كل المكونات بدلالاتها ومعانيها، وعليه فيكمن اضافة تصنيف ومؤشر اخر يمثل المستويات الدلالية والامكانية لكل العلاقات اعلاه.**

حيث ان الإمكان : هو عندما تختفي الملامح الفيزيائية وتبقى معانيها وحوادثها في ذاكرة المدينة والناس وارتباطها برمزية الأماكن وفيها، وبالتالي الإمكان يمثل وجود غير ظاهر لقوى كامنة في الامكنة للمكونات المدينة.

وعليه فان اهم المفردات التي ستوظف لتحليل البنية الحضرية والمعمارية والتي سيتم طرحها بشكل العلاقات الاساسية هي كالاتي :

1- العلاقات الاساسية على مستوى المحاور (المسارات).
2- العلاقات الاساسية على مستوى عقد الفعاليات الانسانية .
3- العلاقات الاساسية للحافات (الطبيعية والحضرية).
4- الترابطات او التدرج الهرمي للعلاقات
5- المستويات الدلالية ومستويات الإمكان للعلاقات اعلاه.

4-1- تتابع البنى الحضرية:

بعد استخلاص المؤشرات التي يمكن تطبيقها لأية بنية حضرية، نوضح هنا المقصود بالتتابع في البنى الحضرية، مصطلح التتابع Succession يعني التسلسل الزمني لأحداث معينة او ظواهر معينة – وبهذا فان المقصود بتتابع البنى الحضرية يعني دراسة اكثر من بنية حضرية لمكان معين يمر بمراحل عدة يمكن تحليلها كبنى حضرية تسلسلت في حضورها الزمني في نفس المكان.

لكن التتابع كما رأينا يرتبط بمفهوم التعاقب – الذي بحث كمبدأ بنيوي من التزامن، ومن هذا المنطق فان معنى التتابع في هذا البحث يحمل ايضاً تحليلات للقيم التتابعية وهي كما مر بنا خلال الفصل، تمثل الاحداث والتاريخ والمحيط ومن خلال تحليل هذا التتابع للبنى الحضرية يمكن تحديد الثابت والمتغير فيها، وتحديد البنى العميقة على المستويين الفيزياوي والدلالي في كل العلاقات الانسانية المطروحة (المسارات، وعقد الفعاليات البشرية والعقد المعمارية، والحافات) ثم الترابطات بين العلاقات وتدرجها والمستويات الدلالية ومستويات الامكان لها ومعرفة التحويلات في البنى السطحية عبر الزمن.

وهدف هذا البحث ايضاح التتابع للبنى الحضرية لمدينة بغداد ذات العمق التاريخي والتي مرت بعدد من المراحل التاريخية المتداخلة ثقافياً والمتعددة الجوانب سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، فضلاً عن الجوانب الفيزياوية والادراكية، وايضاح العلاقات البنيوية الاساسية التي استمرت منها وابرازها امام المخططين والمصممين المعاصرين كمعرفة اصيلة في بناء مشاريع التطوير واعادة التأهيل الحضري والمعماري.

2- تحليل البنى الحضرية لمنطقة بغداد قبل بناء المدينة المدورة:

لقد تم اختيار هذه الحقبة من تاريخ مدينة بغداد لإيضاح اهمية الموقع الذي انشأت عليه مدينة بغداد المعروفة حاليا، ولإيضاح اهم ما احتواه هذا الموقع من موارد، زادت من اهميته وساعدت في نفس الوقت على نشوء كيان حضري متميز على مختلف الاصعدة والازمنة، وتبدأ هذه الحقبة كما تم الاشارة اليه سابقاً من الفتح الاسلامي للمنطقة سنة 634م وحتى نشوء مدينة بغداد المدورة سنة 766م. (الشكل 1).

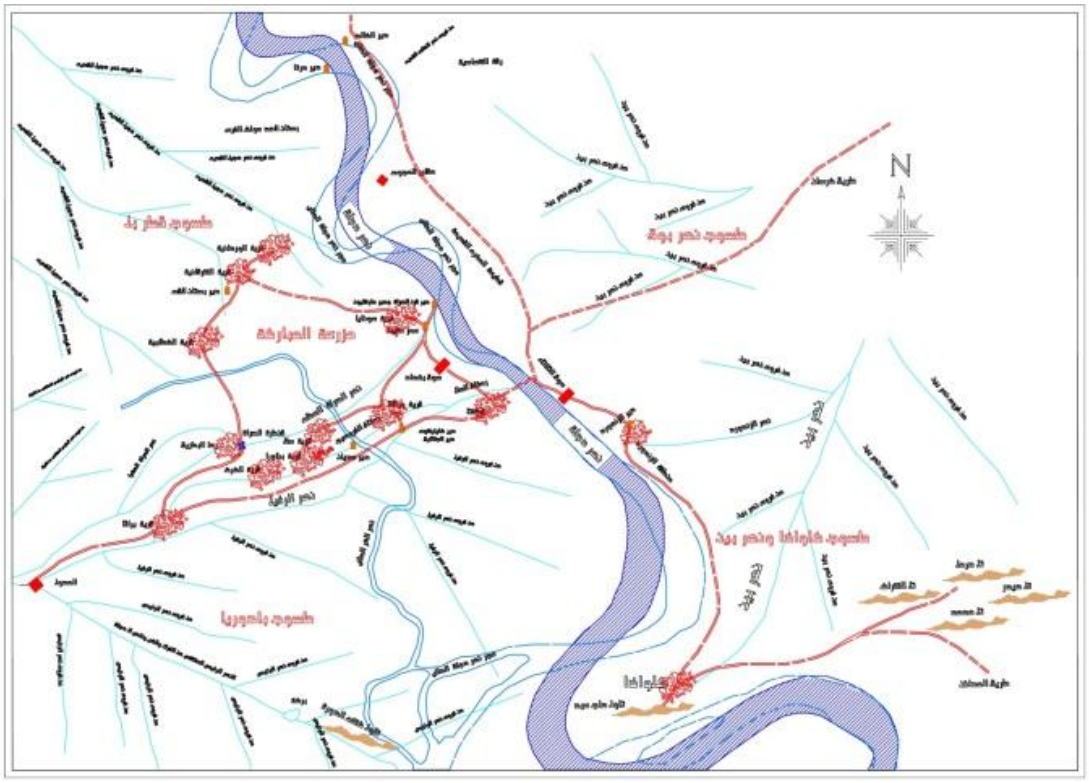

الشكل (1) مخطط يوضح موقع بغداد قبل بناء المدينة المدورة
اعداد الباحث بالاعتماد على مخطط د.غادة السلق 2008

2-1- العلاقات الاساسية على مستوى المحاور (المسارات) للحقبة الاولى:

من خلال الاعتماد على المخططات التي اوردها المؤرخون والباحثون، وبالاعتماد كذلك على تحليل هذه المخططات وايضاح أهم العقد التي تواجدت في الموقع، يمكن ان نرى بعض من المسارات الرئيسية التي تواجدت في الموقع، ومن ابرز المسارات هو الطريق الواصل بين: **كلواذا – الزندورد – سوق الثلاثاء** (في الجزء الشرقي من نهر دجلة) **– الجسر – قطفتا – سوق بغداد – سونايا – قرية سال – قرية ورثالا – قرية بناورا – قرية الكرخ – قرية براثا – المحول** (في الجزء الغربي من نهر دجلة)، (الشكل الرقم 2)، ويكون هذا الطريق بشكل مستعرض على اتجاه نهر دجلة. وتقع على هذا الطريق القرى والمستوطنات الزراعية والمواقع التجارية، ويمثل هذا الطريق طريق المواصلات الرئيسي في الموقع والموازي للطريق النهري (الصراة العظمى والرفيل)، ويتجه هذا الطريق بعد كلواذا الى المدائن شرقاً

وبعد المحول الى الانبار غرباً، وبهذا يمثل الطريق المحور الحركي والوظيفي الرئيسي للموقع. وعند مقارنة هذا المسار بمدينة بغداد المعاصرة نجده مقارباً للمسار الذي يبدأ من الكرادة الحالية فشارع السعدون ثم شارع الرشيد حتى ساحة حافظ القاضي، ويعبر جسر الاحرار مرورا بالعلاوي ومحاذيا او قاطعا بعض اجزاء متنزه الزوراء ومارا بمنطقتي المنصور واليرموك حتى قرابة موقع ام الطبول. (السلق، 2008، ص18).

اما المسار الثاني الذي يوجد في الموقع فهو الذي يبدأ: **بقرية الوردانية – قرية الشرفانية – دير بستان القس – قرية الخطابية – رحا البطريق – قرية براثا – المحول**، (الشكل 2)، ويكون هذا الطريق بشكل عمودي على الطريق الرئيسي الذي تم ذكره، واستخدم هذا الطريق ايضا كطريق للمواصلات وللتجارة وصولا الى الطريق الرئيسي، وعند مقارنته مع بغداد المعاصرة نجدة مقارباً للمسار الذي يبدأ من العطيفية ثم الاسكان ثم المنصور (14 رمضان) ثم اليرموك حتى قرابة موقع ام الطبول.

ويوجد مسار اخر اقل اهمية من المسارين السابقين وهو الذي يبدأ: **بقرية الشرفانية – قرية سونيا – عمر صليبا – سوق بغداد – قطفتا**، (الشكل 2)، ويسير هذا الطريق بشكل موازي لنهر دجلة وعمودي على الطريق الرئيسي، والذي يقارب عند مقارنته ببغداد مسار شارع حيفا.

2-2- العلاقات الاساسية على مستوى عقد الفعاليات الانسانية للحقبة الاولى:

بالنسبة الى هذا المستوى من العلاقات وخصوصاً في تلك الحقبة، بالتأكيد فان الزراعة كانت تمثل العقد الاساسية في الموقع، فكما تبين اعلاه ان القرى نمت بشكل رئيسي على ضفاف الانهار والقنوات مما يدل على استخدام هذه الانهار لأغراض الري والزراعة بشكل رئيسي، إضافة الى الاستخدامات الاخرى.

كما تواجد في الموقع عدد من المزارع والبساتين الكبيرة التي كان لها دور اساسي في ابراز هذه العقدة الانسانية، مثل مزرعة المباركة، وكذلك البستان الواقع الى الشمال من مزرعة المباركة والذي كان لاحد ملوك الفرس. (الشكل 2).

اما بالنسبة الى العقدة الاخرى والتي تعتبر من العقد الانسانية المهمة في الموقع فهي متمثلة في وجود السوقين المهمين وهما: سوق الثلاثاء الواقع الى الشرق من نهر دجلة، وكذلك سوق بغداد الواقع الى الغرب من نهر دجلة يجتمع فيه التجار للبيع والشراء من كافة أنحاء البلاد بما يعكس أهميته آنذاك، فضلا عن الأهمية الكبيرة لموقع السوق في بغداد من حيث انه يتوسط العراق ، ولكونه يقع على طريق التجارة البرية والنهرية ويرتبط مع مستوطنات الشمال والجنوب بالمواصلات النهرية، مما يدل على ان الموقع كان ذو طابع تجاري مهم في المنطقة ولم يكن مكتفيا بالزراعة فقط، حيث ان موقع بغداد كان مركزاً تجارياً ووظيفياً مهما بسبب كونه واقعاً في المنطقة ما بين نهر دجلة والفرات ووجود قناتين هما الصراة والرفيل مما زاد من اهمية الموقع التجارية. (الشكل 2).

اما من اهم الاستعمالات التي تواجدت في المنطقة فهي السكن، حيث ان الموقع قد شكل بالأساس موقع سكني، لذلك نلاحظ انتشار القرى السكنية في مناطق متفرقة من الموقع،، ومن اهم القرى التي تواجدت في المنطقة هي قرية براثا وقرية سونيا والشرفانية والخطابية وزندورد وغيرها من القرى التي تواجدت في الموقع والتي استمرت الى ازمان لاحقة.

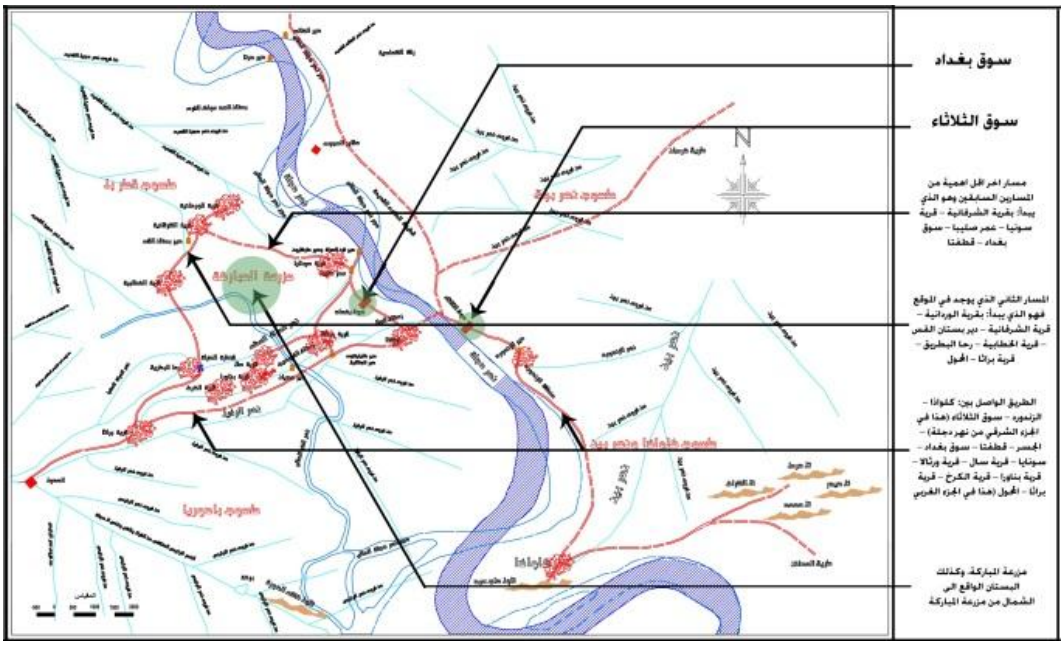

الشكل (2) مخطط يوضح المسارات والفعاليات الانسانية لمنطقة بغداد قبل انشاء المدينة المدورة سنة 634م
اعداد وايضاح الباحث بالاعتماد على اطلس بغداد لاحمد سوسة

2-3- العلاقات الاساسية للحافات (الطبيعية والحضرية) للحقبة الاولى:

في هذه الحقبة لم تكن الحافات واضحة وبارزة وخصوصاً الحافات الحضرية. اما بالنسبة الى الحافات الطبيعية فقد تتمثل بالأنهار الرئيسية وضفافها، بسبب كون هذا الموقع هو موقع رسوبي سهلي ذو تربة خصبة تجري فيه عدد من الانهار الصغيرة بالإضافة على القنوات المائية، حيث ان من الطبيعي ان تتواجد عدد من القرى والمستوطنات على ضفاف هذه الانهار او بالقرب منها، وفي مقدمة هذه الانهار هو نهر دجلة الذي يعتبر النهر الرئيسي في المنطقة والذي تواجدت على ضفافه عدد من القرى والمستوطنات، منها قرية سونيا (المنطقة الواقعة على جهة الغربي من جسر الصرافية الحالي)، وكذلك قرية قطفتا (منطقة المشاهدة الحالية)، وكذلك منطقة الشماسية (الصليخ حالياً)، وكذلك توجد قرية المباركة، هذا في الجزء الغربي من نهر دجلة، اما في الجزء الشرقي من النهر فتوجدت عدد من القرى مثل قرية كلواذا (تقع بين منطقة السعدون والكرادة حاليا)، وكذلك منطقة الزندورد التي تقع الى الشمال من قرية كلواذا. (عماد عبد السلام رؤوف,2004, ص75)، (الشكل 3).

فضلا عن ان نهر دجلة الذي يعتبر العقدة الرئيسية في الموقع يوجد كذلك عقدة اخرى ذات اهمية كبيرة للموقع والمتمثلة في القناتين هما (الصراة العظمى) و(الرفيل او كما يسمى بنهر عيسى)، واللذان ينطلقان او ينبعان من المحول غربا ويسيران بشكل شبه متوازي حتى يصبان في دجلة، وتوجد على ضفافهما عدد من القرى والمستوطنات مثل قرية سال، وقرية ورثالا، وقرية بناورا، وقرية الكرخ، وقرية براثا.
ونجد كذلك من خلال مؤشرات الموقع ان هاتين القناتين قد استخدمتا للمواصلات وكذلك لأغراض الري، مما يجعلهما من العلاقات الاساسية في الموقع. (الشكل 3).

فضلاً عن هذه العقد المتمثلة بنهر دجلة وكذلك بقناتي الصراة والرفيل، توجد في الموقع قنوات وانهار صغيره لم تكن ذات دور اساسي ضمن محيط الموقع، ولكن تواجدت عليها بعض القرى الصغيرة، مثل نهر بين الذي يقع الى الشرق من نهر دجلة، وكذلك فروع نهر الدجيل القديم الواقعة الى الغرب من نهر دجلة واللذان تواجدت عليهما عدد من القرى الصغيرة مثل قرية الوردانية، والقرية الشرفانية، والقرية الخطابية.(الشكل 3).
اما بالنسبة الى الحافات الحضرية فلم تكن واضحة، كون المنطقة لم تحتوي على كيانات حضرية واضحة بل احتوت على عدد من القرى الصغيرة المنشرة بأماكن متفرقة ضمن المنطقة، اي انها لم تكن محددة بحدود واضحة، وكذلك لم تكن تحتوي هذه المنطقة على مركز حضري اداري مما جعلها تفتقر الى ابسط مكونات المدينة الحضرية.

2-4- الترابطات او التدرج الهرمي للعلاقات للحقبة الاولى:

بالنسبة الى هذا المستوى من العلاقات وبالاعتماد على ما تم تحليله في عقدة العمارة يتبين ان القرى والمستوطنات لم تحتوي على نواة مركزية او نواتين ضمن القرية نفسها، ولكنها تقترب من صيغة التكوين العضوي وتتوزع فيها المسارات والمساكن الصغيرة بشكل غير هندسي و يمكن ان تحتوي على بعض من المساكن الكبيرة لكبار المزارعين او كبار التجار.

بما يخص بناية الدير الذي يعتبر المركز الديني ضمن القرى او المستوطنات، فكان موقعه في اطراف القرى وليس في وسطها، هذا بالنسبة الى التدرج ضمن القرية او المستوطنة نفسها، اما على مستوى الموقع ككل المتضمن عدد من القرى والمستوطنات، فتظهر هنالك علاقة اساسية متمثلة بالمحور الرئيسي الذي يربط بين السوقين الموجودين في الموقع (سوق الثلاثاء في شرق دجلة وسوق بغداد في غرب دجلة)، بالإضافة الى المحاور المائية الثلاثة (نهر دجلة ونهر الصراة والرفيل)، حيث يمكن اعتبار هذه المحاور النواة المركزية لتجمع القرى والمستوطنات ضمن الموقع ككل اما لأسباب الزراعة او اسباب التجارة والتنقل، بالإضافة الى وجود بعض المحاور الثانوية سواء كانت محاور حركية (مسارات) او محاور مائية التي كانت اقل اهمية من المحاور الرئيسية في تجمع القرى والمستوطنات حولها.

2-5- المستويات الدلالية ومستويات الإمكان للعلاقات اعلاه للحقبة الاولى:

بالنسبة الى المستويات الدلالية لموقع مدينة بغداد ضمن تلك الحقبة، فلم تكن ذات اهمية كبيرة لأننا لا نجد ضمن الموقع تأثيرات رمزية او دلالية للأقوام الذين تواجدوا ضمن الموقع، ولا للحقب الزمنية السابقة، على الرغم من وقوع هذا الموقع تحت الحكم والسيطرة الساسانية ولحقبات طويلة سبقت الفتح العربي، مما يدلنا على ضعف السيطرة الحاكمة عليه، ولكن نرى في نفس الوقت انتشار واضح للدين المسيحي.

وبالرغم من ذلك فقد احتوى موقع بغداد على بعض التلال مثل تل حرمل وتل حيدر وتل محمد وتل الشراك (في الجزء الشرقي من نهر دجلة) وتل خشم الدورة (في الجزء الغربي من نهر دجلة)، والتي يمكن ان نستدل منها على وجود مواقع اثرية لاتزال قائمة لكنها غير مكتشفة او غير مدروسة من قبل المختصين والباحثين، (الشكل 3).

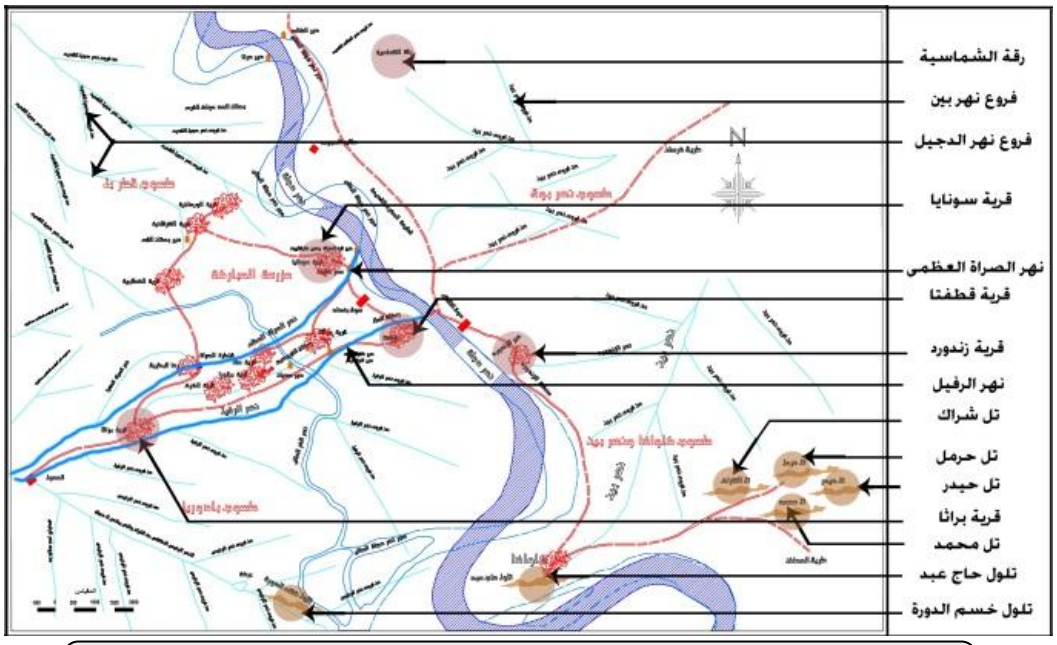

الشكل (3) مخطط يوضح الحافات الطبيعية والحضرية ومستويات الامكان لمنطقة بغداد قبل انشاء المدينة المدورة سنة 634م
اعداد وايضاح الباحث بالاعتماد على اطلس بغداد لأحمد سوسة

مما سبق يتبين ان موقع مدينة بغداد قد احتوى على بعض العلاقات التي اصبحت مهمة ورئيسة في تاريخ مدينة بغداد والتي كان لها دوراً واضحاً في تحديد ملامح وشكل المدينة الحضري والعمراني، يمكن ان نستدل بان في هذه الحقبة لا يمكن اعتبار هذا الموقع (مدينة متكاملة) وذلك لأسباب مهمة واساسية في تكوين المدينة ومن اهمها: افتقاد الموقع نواه مركزية ادارية وسياسية واضحة فضلاً عن عدم وجود حافات تحدد ملامح المدينة حيث ان الموقع كان عبارة عن عدد من القرى السكنية الصغيرة المنتشرة على الانهار والقنوات النهرية والتي كان لها دور اساسي في نشأت هذه القرى، وعليه يمكن ان نضع جدولاً يبين اهم العلاقات الاساسية التي تواجدت في الموقع قبل بناء المدينة المدورة.

3- تحليل البنى الحضرية والمعمارية لمنطقة بغداد بعد بناء المدينة المدورة:

ان انشاء المدينة المدورة من قبل ابي جعفر المنصور في سنة 762 – 766م وجعلها عاصمة للدولة العباسية، كان لها دوراً كبيراً في تغير ملامح الموقع فضلاً عن انها تمثل اول دليل لنشوء كيان حضري، حيث اصبح للموقع مركز مدني وسياسي وعسكري في ان واحد، فاصبح في الامكان تسميتها بمدينة، وهي البداية الاولى لنشوء مدينة بغداد الحالية. (الشكل 4).

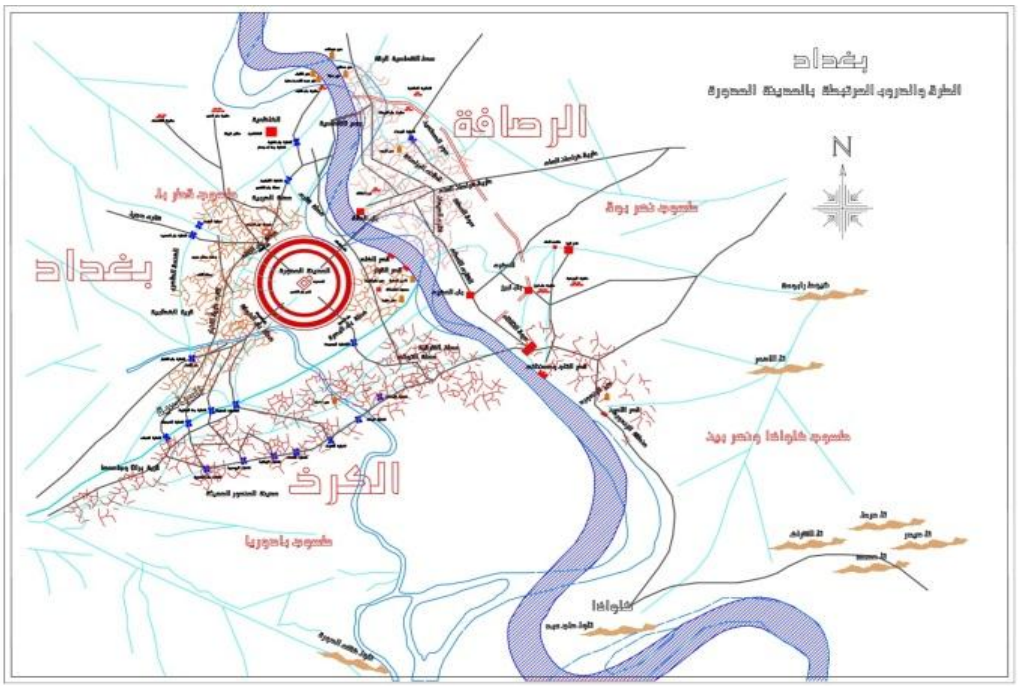

الشكل (4) مخطط يوضح موقع بغداد من سنة 762 – 766م الى سنة 1094م
اعداد الباحث بالاعتماد على مخطط د. غادة السلق 2008

3-1- العلاقات الاساسية على مستوى المحاور (المسارات) للحقبة الثانية:

بالنسبة الى هذا المستوى من العلاقات نجد انه قد ظهرت علاقات جديدة مع احتفاظ العلاقات السابقة بأهميتها ضمن الموقع، حيث ان نشوء المدينة المدورة على يد الخليفة ابو جعفر المنصور وموقعها المركزي وكذلك بأبوابها الاربعة ساعد على ان تكون هنالك طرقا مؤدية اليها، وهذه الطرق تعود بدورها لترتبط بالمحاور الاخرى الموجودة ضمن الموقع،(الشكل 5).

وبقي المحور الرئيسي للموقع هو الطريق الواصل بين: **كلواذا – الزندورد – سوق الثلاثاء** (هذا في الجزء الشرقي من نهر دجلة) **– الجسر – قطفتا – سوق بغداد – سونايا – قرية سال – قرية ورثالا – قرية بناورا – قرية الكرخ – قرية براثا – المحول** (هذا في الجزء الغربي من نهر دجلة)، محتفظاً بأهميته، وقد زادت هذه الاهمية وازدادت قوته خصوصاً بعد نشوء العمارة وبشكل كبير في الجانب الشرقي من نهر دجلة وفي المناطق القريبة من سوق الثلاثاء مما ساعد على تعزيز العلاقة الاساسية للموقع، (الشكل 5)، وقد عاد وازدادت من اهمية هذا المحور بعد ظهور دار الخلافة في الجانب الشرقي من نهر دجلة مع استمرارية الجانب الغربي (الكرخ) من نهر دجلة.

اما المحور الرئيسي الاخر ضمن الموقع يتمثل بنفس المحور الذي كان موجوداً في منطقة بغداد قبل نشوء المدينة المدورة واستمر بعد انشائها، والذي يبدأ: **بقرية الوردانية – قرية الشرفانية – دير بستان القس – قرية الخطابية – رحا البطريق – قرية براثا – المحول،** ولكن في هذه الحقبة استمر هذا الطريق باتجاه الشرق ليعبر نهر دجلة في منطقة قرب الكاظمية الحالية ويستمر في الجانب الشرقي الى حد التقائه بالطريق المستعرض المحاذي لنهر دجلة في الجانب الشرقي. (الشكل 5).

اما بالنسبة الى المحاور الاخرى المتواجدة في الموقع، فقد ازدادت اهمية المحاور المحاذية لنهر دجلة على الجانبين الشرقي والغربي، وظهر بعد ذلك محور استمر لاحقا في الزمن يربط الرصافة بالجزء الغربي من دجلة بجسر في الموقع الذي كانت فيه قرية سونايا والتي استمرت بعد ذلك باسم العتيقة في العصر العباسي. (الشكل 5).

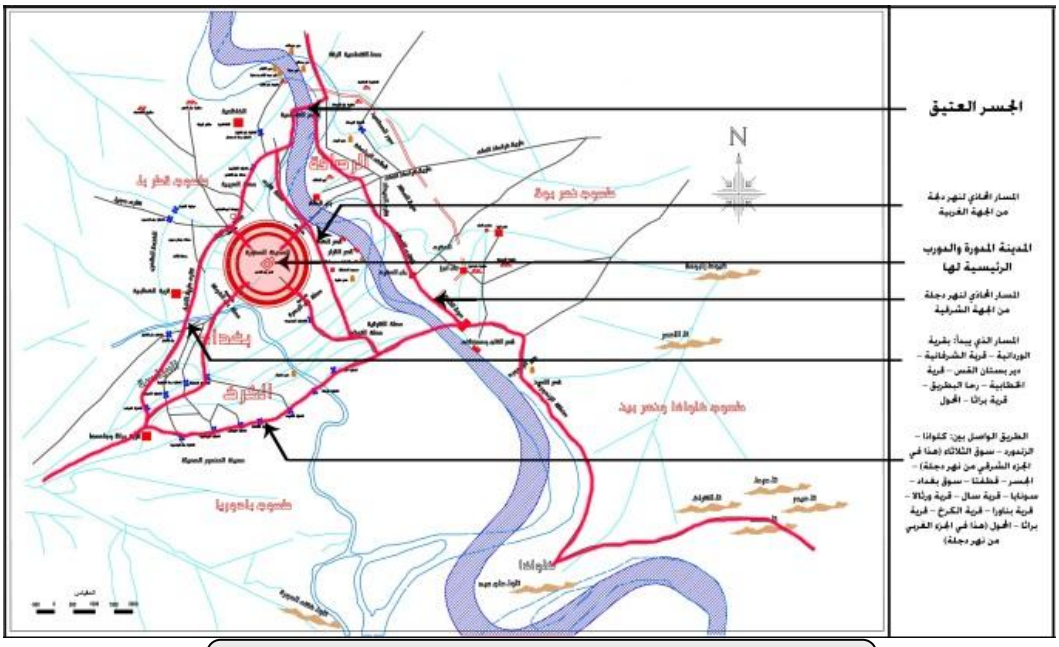

الشكل (5) مخطط يوضح المسارات لمنطقة بغداد بعد انشاء المدينة المدورة سنة 766م
اعداد وايضاح الباحث بالاعتماد على اطلس بغداد لاحمد سوسة

3-2- العلاقات الاساسية على مستوى عقد الفعاليات الانسانية للحقبة الثانية:

بالنسبة الى هذا المستوى من العلاقات فأننا نجد ان العقدة التجارية المتمثلة بالأسواق، كسوق بغداد في جانب الكرخ وسوق الثلاثاء في الجانب الشرقي من نهر دجلة، والتي كانت ذات اهمية كبيرة في الحقبة التي سبقت بناء المدينة المدورة، قد أزادت قوتها في الحقبة التي تلت بناء المدينة المدورة، وقد اختيرت هذه المنطقة (غرب دجلة – جنوب المدينة المدورة) من اجل انشاء الاسواق فيها خارج حدود المدينة المدورة والتي نمت بعد ذلك وازدادت اتساعاً شرقاً وغرباً واصبحت مركز محلة كبيرة وهي الكرخ والتي بقيت المركز التجاري لمدينة بغداد لفترة طويلة من الزمن، **وعليه نجد ان محلة الكرخ التي تأسست من خلال هذه الاسواق بقيت قائمة طيلة حياة مدينة بغداد وحتى اليوم، وهي بذلك اقدم منطقة لا تزال قائمة ومسكونة في نفس الوقت منذ عصر ما قبل المدينة المدورة وحتى اليوم ضمن مدينة بغداد.** (الشكل 6).

لقد ساعد نمو المدينة للفترة من (768م – 1094م) على تزايد نشاط الأسواق داخل وخارج المدينة المدورة، بحيث جذبت أعدادا جديدة من التجار والباعة والمشترين ، وأنعكس ذلك على زيادة عدد الدكاكين وتنوع ما يعرض فيها. (جواد وسوسة ،1958، ص44).

اما بالنسبة الى العقدة الثانية والمتمثلة بالزراعة فقد استمرت ونجد انها كانت ذات اهمية اقل ضمن هذه الحقبة، بسبب النمو المدني وظهور الفعاليات الحضرية، ولكنها ازدادت اتساعاً خارج المواقع التي ازدادت فيها الكثافة السكانية، حيث تمركزت بشكل كبيرة حول المدينة المدورة وكذلك في الجانب الشرقي من نهر دجلة المسمى بالرصافة.

وفضلاً عن هذا كله ظلت فعالية السكن هي الفعالية الاساسية في الموقع، حيث انتشرت القرى والمستوطنات السكنية على ضفاف الانهار والقنوات المائية، فضلاً عن قربها من المدينة المدورة التي اصبحت المركز الاساسي للمدينة، والتي كانت تمثل المركز السياسي والاداري والديني للمنطقة ككل، حتى بناء المسجد في الكرخ وظهوره كمركز ديني لتلك المحلة. (الشكل 6).

اما الرصافة فنستطيع ان نراها محلة لها كيانها بوجود جامع يمثل المركز الديني وقصر لابن الخليفة يمثل مركزاً مدنياً فضلاً عن كون موقعها الجغرافي يتمتع ببنية فيزياوية منفصلة عن المدينة المدورة وما جاورها من خلال نهر دجلة.

ظهرت في الحقبة التي تلت انشاء المدينة المدورة عقد فعالية انسانية اخرى مهمة وهي الفعالية السياسية، فبتأسيس المدينة المدورة التي اصبحت عاصمة للخلافة العباسية ظهرت الفعالية السياسية، مع ما يرتبط بها من فعاليات ادارية وخدمية ودفاعية، وقد استمرت هذه الفعالية السياسية عبر الزمن ولحقبات طويلة، وفي اغلب العصور ضم هذه الموقع مدينة كبرى كانت عاصمة للدولة الكبيرة.

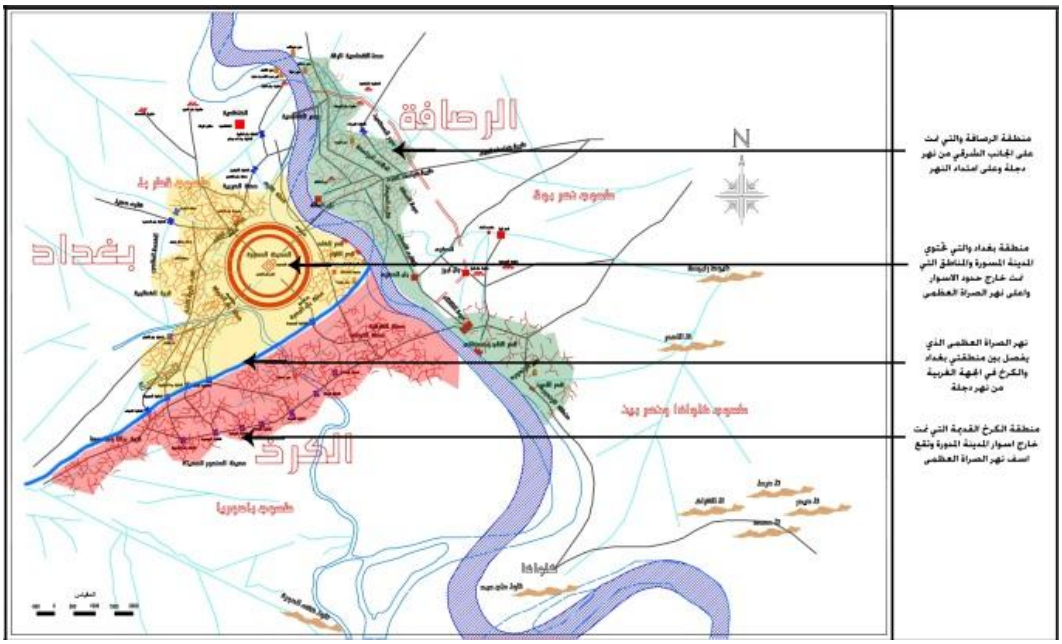

الشكل (6) مخطط يوضح عقد الفعاليات الانسانية واسماء منطقة بغداد بعد انشاء المدينة المدورة سنة 776م
اعداد وايضاح الباحث بالاعتماد على اطلس بغداد لأحمد سوسة

3-3- العلاقات الاساسية للحافات (الطبيعية والحضرية) للحقبة الثانية:

فيما يخص العلاقات الاساسية على مستوى الحافات وخصوصاً الحافات الحضرية فقد حصل تغير عن الحقبة السابقة وهي بناء المدينة المدورة من قبل ابو جعفر المنصور واحاطتها بثلاث اسوار دائرية فضلاً عن خندق مائي يحيط بالمدينة، وبالتالي فان هذه الاسوار تعد اول حافات حضرية احاطت بمركز الحكم والمركز الاداري والسياسي، والذي اصبح بعد ذلك مركز لمدينة بغداد ككل.

اما على مستوى الحافات الطبيعة ضمن هذه الحقبة وكما تم توضيحها في المخططات التي تم وضعها من قبل المؤرخين والباحثين لم تتغير، اي ان طبيعة الموقع الجغرافية والطبوغرافية لم تتغير كثيراً، فالعلاقات الطبيعة الاساسية بقيت على حالها، ولكن اصبح هنالك تعزيزاً مهماً للعلاقات الاساسية لهذه الحافات.

بالنسبة لنهر دجلة الذي يعتبر الحافة الاساسية ضمن الموقع ككل وعلى الرغم من ان المدينة المدورة التي انشاءها الخليفة ابو جعفر المنصور لم يتم توقيعها على نهر دجلة، الا ان اغلب واهم القصور التي بنيت في تلك الحقبة تم انشأها على ضفاف نهر دجلة وخاصة في المنطقة عند مصب نهر الصراة في دجلة، حيث اقيم قصر الخلد وقصر عيسى وقصر القرار وكذلك قصر الحسني على الضفة الشرقية للنهر وفي الجنوب من سوق الثلاثاء، فضلاً عن هذا فلم تتغير اهمية هذه الحافة الاساسية (نهر دجلة) من حيث استخدامه لأغراض الزراعة والري وكذلك لأغراض التنقل النهري. (الشكل 7).

اما بالنسبة الى الانهار والقنوات المائية الاخرى والتي شكلت الحافة اساسية ايضا ولكن بأهمية اقل من نهر دجلة مثل نهر الصراة ونهر الرفيل الذي اصبح يعرف باسم نهر عيسى، فقد بقيت اهمية هذه القنوات المائية من حيث اهميتها في الري والزراعة وكذلك التنقل النهري، وقد ازدادت من اهميتها حيث اقيم عليها عدد من الاسواق ضمن القرى والمستوطنات المبنية على ضفاف هذه القنوات.

هذه الحافات الطبيعة الاساسية منها والثانوية زادت من اهمية الموقع الذي جرى اختياره من قبل الخليفة ابو جعفر المنصور لبناء مدينته المدورة، حيث وفرت امكانيات كبيرة بما يتعلق بأغراض الري والزراعة وكذلك كوسيلة نقل مائية، فضلاً عن ذلك فان هذه الحافات الطبيعية قد وفرت حماية دفاعية اضافية للمدينة المدورة والتي قد تم تعزيز هذه العلاقة الجديدة بحفر الخندق المحيط بالمدينة المدورة وخندق اضافي اخر من الجهة الغربية للمدينة. (الشكل 7).

3-4- الترابطات او التدرج الهرمي للعلاقات:

اهم علاقة في هذا المستوى من العلاقات التي تواجدت ضمن الموقع هي من خلال مركزية موقع المدينة المدورة والذي يعتبر اول مركز مدني واضح في تاريخ بغداد، حيث اصبحت هذه المدينة جزءاً اساسياً ومركزياً للموقع. و ساعد هذا على نشوء بقية اجزاء المدينة من اسواق وسكن وغيرها من الفعاليات وتجمعها بشكل رئيسي حول هذه النواة المركزية.

وان هذه المركزية القوية التي تمثلت بالمدينة المدورة التي بناها الخليفة ابو جعفر المنصور، قد بدأت تفقد قوتها بعض الشي نتيجة لأمر الخليفة بأنشاء الاسواق خارج حدود المدينة واسوارها مما ساعد هذا الشي على نمو الجانب الغربي من نهر دجلة (الكرخ) بشكل كبير، هذا فضلاً عن ان هذه المركزية فقدت قوتها وبشكل اكبر بعد نشوء الجانب الشرقي من نهر دجلة (الرصافة) والذي كان مخصصاً لنزول الجيش في بداية الامر، الا انه بدأ بعد ذلك يأخذ اهميته ضمن الموقع وكجزء اساسي ورئيسي في موقع بغداد، وعليه فان التدرج الهرمي لموقع بغداد في هذه الحقبة كان يبدأ طبعا بالمدينة المدورة وما احاطها والذي غلب اسم بغداد عليهما معا، ثم يليها الجانب الغربي من نهر دجلة القريب من المدينة المدورة (الكرخ)، ثم بعد ذلك يأتي من حيث الاهمية الجانب الشرقي من النهر (الرصافة). (الشكل 7).

ان هذا التدرج كان هو الاساسي في الموقع ضمن هذه الحقبة والذي استمر على حاله تقريباً حتى نهاية حكم الخليفة المأمون، حيث انتقل بعد ذلك مركز الخلافة من المدينة المدورة الى الجانب الشرقي من نهر دجلة القريب من موقع سوق الثلاثاء، حيث اصبح التدرج بعد هذا الانتقال في السلطة يبدأ بمركز الخلافة في الجانب الشرقي من نهر دجلة ثم يليه بعد ذلك الجانب الغربي من نهر دجلة (الكرخ) الذي بقي محتفظ بأهميته التجارية بسبب كثرة الاسواق فيه، ثم بعد ذلك يأتي دور (الرصافة) في الجانب الشرقي من نهر دجلة حيث انها بدأت بالنمو والتطور العمراني، ثم يأتي اخيراً دور المدينة المدورة التي انشأها ابو جعفر المنصور، حيث انها فقدت الكثير من قوتها وتداعت اهميتها والسبب في ذلك انتقال السلطة منها وتحولها الى سامراء وحتى بعد عودة السلطة الى بغداد فان الخليفة لم يعد الى المدينة المدورة بل اصبح دار الخلافة هو مركز السلطة، حيث ساعد هذا كله بانتهاء المدينة المدورة واصبحت جزءاً من الكرخ. (الشكل 7).

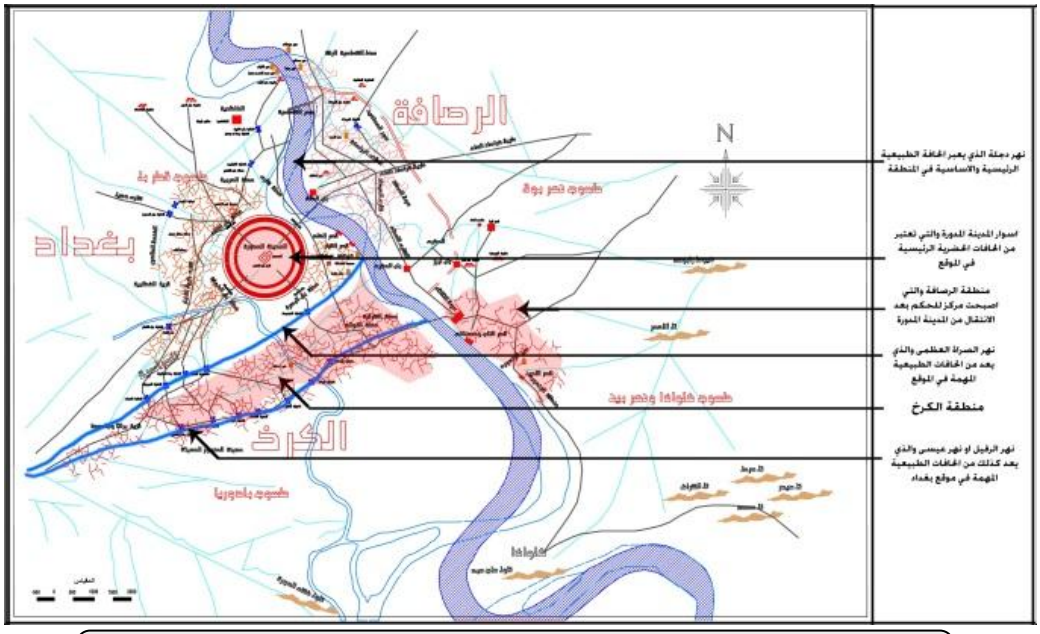

الشكل (7) مخطط يوضح الخانات الطبيعية والحضرية والتدرج الهرمي لمنطقة بغداد بعد انشاء المدينة المدورة سنة 813م
اعداد وايضاح الباحث بالاعتماد على اطلس بغداد لاحمد سوسة

3-5- المستويات الدلالية ومستويات الإمكان للعلاقات اعلاه للحقبة الثانية:

بالنسبة الى هذا المستوى من العلاقات فان للدلالة والرمزية اهمية كبيرة في هذه الحقبة، حيث نجد ان للمؤثرات ذات البعد الرمزي اهمية كبيرة، حيث تدخل هذه المؤثرات في قرار اختيار موضع المدينة المدورة وكذلك في اسماء هذه المدينة، حيث ان الخليفة ابو جعفر المنصور استعان بالمنجمين في اختيار تاريخ البناء مما يدل على الاهمية الرمزية في بناء المدينة المدورة، وكذلك تظهر المستويات الدلالية في اسماء المدينة المدورة مثل دار السلام او مدينة السلام تيمناً او محاكاه لاسم نهر دجلة الذي كان يدعى بهذا الاسم، ونجد هذا حتى في اسماء القصور التي بناها الخلفاء في تلك الحقبة مثل قصر الخلد حيث جاء الاسم تيمناً بجنات الخلد اي الامور ذات الدلالات الرمزية القوية.

ولا تخفى رمزية الشكل الدائري (المركزية) الذي اختاره الخليفة ابو جعفر المنصور وما يمثله المركز بالنسبة للخلافة، وقصر باب الذهب، احتل مركز المدينة ومتنافساً بذلك مع الجامع، مما يدل على تزايد القيم المدنية على القيم الدينية، فضلاً عن هذا فأننا نجد تجلي واضح لهذه الرمزية في فخامة القصور التي تم بنائها وفي غنى مفرداتها، وكذلك تظهر دلالات تأكيد سلطة الخلافة وهيبتها في العقد المعمارية التي تميزت بكبرها وفخامتها مثل ضخامة الاسوار وتأكيد تحصينها.

اما بالنسبة الى مستويات الامكان في هذه الحقبة من تاريخ مدينة بغداد فيمكن ان تعد المدينة المدورة التي بناها الخليفة ابو جعفر المنصور بأكملها من اهم الامكانات التي تواجدت في هذا الموقع وعلى مد العصور، ولذلك يأتي من اهميتها كأول مركز مدني، سياسي، اداري، ضمن الموقع، هذا فضلاً عن شكلها المميز والهندسي الذي زاد من اهميتها كمركز للخلافة. (الشكل 8).

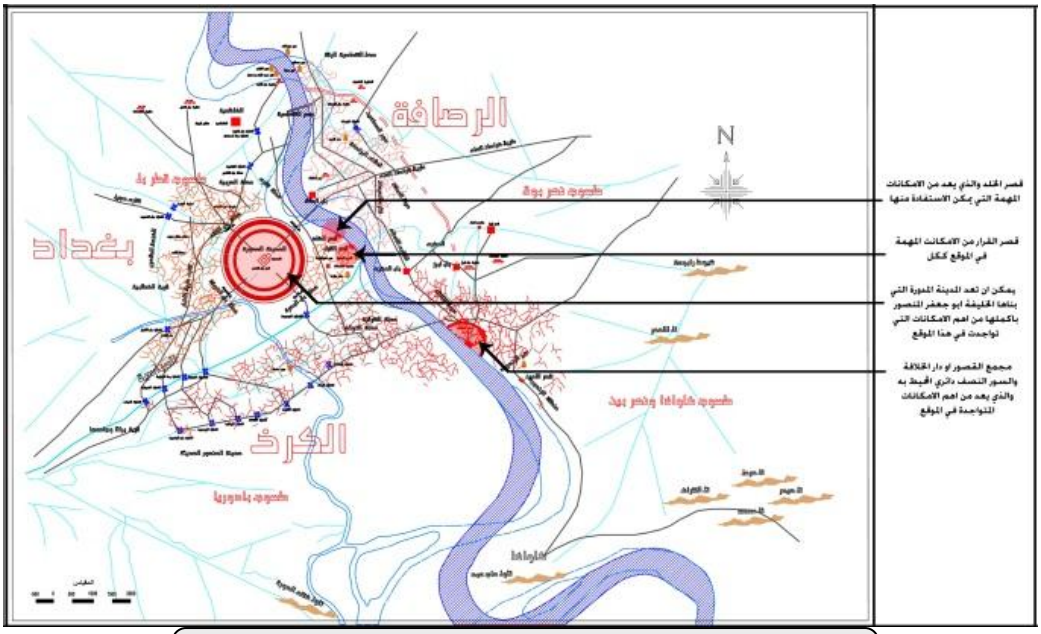

الشكل (8) مخطط يوضح مستويات الامكان لمنطقة بغداد بعد انشاء المدينة المدورة سنة 833م
اعداد وايضاح الباحث بالاعتماد على اطلس بغداد لاحمد سوسة

فضلاً عن المدينة المدورة، فقد تواجدت في الموقع وضمن هذه الحقبة بعض الابنية التي يمكن ان تعد من مستويات الامكان المتمثلة بالقصور التي انتشرت ضمن الموقع في تلك الحقبة. واهم هذا القصور (قصر باب الذهب، قصر الخلد، قصر عيسى، قصر القرار، وغيرها من القصور) التي كان لها دور اساسي وواضح في تحديد شكل المدينة الحضري. (الشكل 8).

مما سبق يتبين ان في هذه الحقبة من تاريخ مدينة بغداد قد احتوى الموقع على بعض العقد المهمة والاساسية والتي كان لها دور اساسي في تحديد ملامح وخصائص المدينة، ويمكن ان تعد هذه الحقبة هي الحقبة الاولى التي شهدت ظهور اول اشكال المدينة حيث احتوى الموقع على جزء مدني، سياسي، اداري، مركزي والذي تمثل بالمدينة المدورة التي بنها الخليفة ابو جعفر المنصور والتي كانت مركز للحكم والخلافة، فضلاً عن هذا المركز فقد احتوى الموقع على السكن والمتمثل بالقرى السكنية المنتشرة حول المدينة المدورة والقرب من العقد الاخرى مثل نهر دجلة وبقية قنوات وانهار المنطقة والتي كان لها دور اساسي في نشأت هذه القرى.
في هذه الحقبة من تاريخ المدينة يمكن تسمية محلاتها الثلاث (المدينة المدورة مع ما يحيطها – الكرخ – الرصافة) مثلت النشوء التاريخي للمدينة الكبرى Metropolis والتي امتدت عن حدود هذه المحلات فيزياوياً والتي كانت عاصمة لإمبراطورية كبرى سكن فيها وقصدها اناس من قوميات متعددة واديان ومذاهب عدة، وبدأت فيها الفعالية الثقافية والعلمية تأخذ مساراً رائداً فتأسست الهوية الحضرية والثقافية لها والتي استمرت عبر حقب عدة.

4- تحليل البنى الحضرية والمعمارية لمدينة بغداد الشرقية والغربية المسورة:

ان سبب اختيار هذه الحقبة من تاريخ مدينة بغداد بكونها تمثل اكتمال انشاء المدينة على الجانبين الشرقي والغربي من نهر دجلة واضح لها كيانها الفيزياوي الخاص، وكذلك ظهور منطقتي الكاظمية في الجزء الغربي والاعظمية في الجزء الشرقي من نهر دجلة، فضلاً عن ذلك فان طول الحقبة الزمنية التي استمرت عليها هذا المدينة التي يقارب ال 1000 سنة، والتي تبدأ من انشاء السور عام 1094م وتنتهي بهدم السور عام 1869م، مما جعلها فترة غنية بالأحداث بالبنى الحضرية والمعمارية المهمة والمتميزة في تاريخ مدينة بغداد. (الشكل 9).

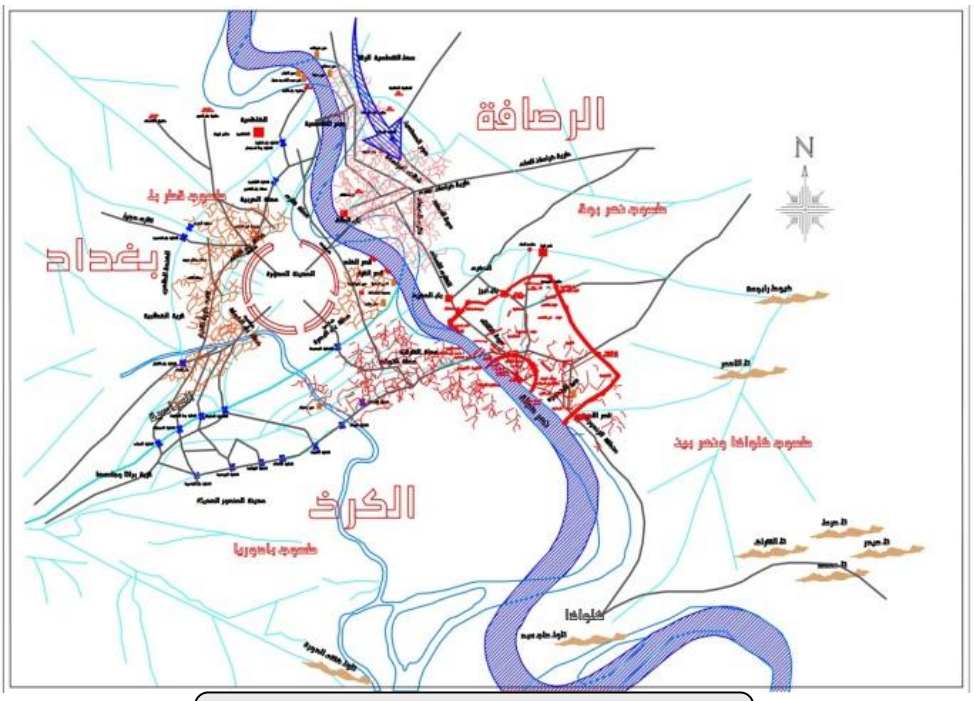

الشكل (9) مخطط يوضح موقع بغداد من سنة 1094م الى سنة 1869م
اعداد الباحث بالاعتماد على مخطط مصطفى جواد واحمد سوسة

4-1- العلاقات الاساسية على مستوى المحاور (المسارات) للحقبة الثالثة:

بالنسبة الى المسارات في هذه الحقبة من تاريخ بغداد يمكن ان تحدد بالمسارات التي تواجدت داخل الاسوار وكذلك داخل منطقتي الكاظمية والاعظمية، فضلاً عن المسارات التي كانت تربط بين هذه المناطق وبين جانبي نهر دجلة، وكذلك المسارات التي كانت تربط مدينة بغداد بالمدن المجاورة.

ففي جانب الرصافة تواجدت عدد من المحاور التاريخية داخل الاسوار وهذه المحاور **(الباب الوسطاني – القلعة، الباب الوسطاني – الاسواق، باب الطلسم – السنك، الكيلاني – الميدان، والميدان – شارع المستنصر)**. اما جانب الكرخ فقد كانت المحاور قليلة ومنتشرة بين الازقة السكنية ولكن يوجد مساراً واحداً واضحاً يمتد على طول منطقة الكرخ وبمحاذاة نهر دجلة والذي يوازي شارع حيفا في الوقت الحاضر وكذلك يمتد هذا المسار ليرتبط الجانب الرصافة عبر نهر دجلة. (الشكل 10).

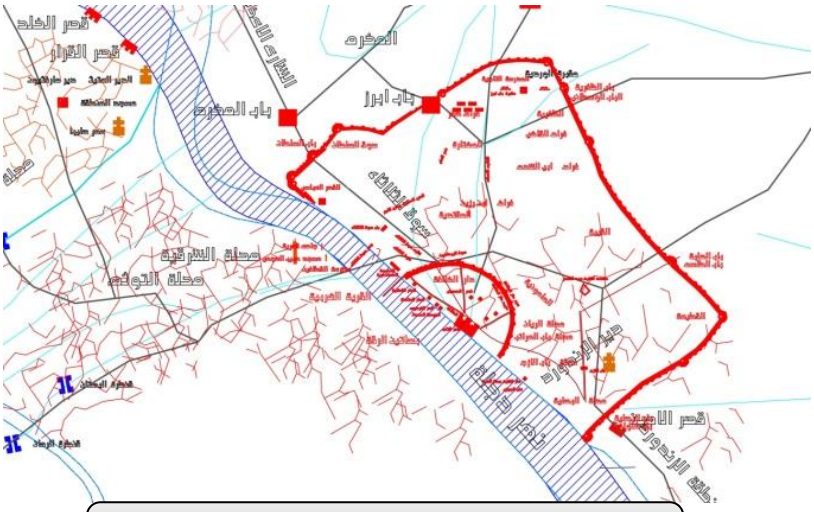

الشكل (10) المحاور التاريخية في جانبي الرصافة والكرخ
اعداد وايضاح الباحث بالاعتماد على مخطط بغداد لمصطفى جواد واحمد سوسة

اما الطريق الواصل بين: **كلواذا – الزندورد – سوق الثلاثاء** (هذا في الجزء الشرقي من نهر دجلة) **– الجسر – قطفتا – سوق بغداد – سونايا – قرية سال – قرية ورثالا – قرية بناورا – قرية الكرخ – قرية براثا – المحول** (هذا في الجزء الغربي من نهر دجلة)، والذي كان هو

المحور الرئيسي في الموقع، فقد بقي على حالة ولكن اهميته بدأت تقل بالنسبة الى الموقع كون المناطق السكنية بدأت بالانحسار باتجاه نهر دجلة، مما اضعف من اهمية هذا المسار وبقاء استعماله كأحد الطرق الرئيسية للربط بين مدينة بغداد والمدن المجاورة. (الشكل 11).

اما في منطقة الكاظمية على الجانب الغربي من نهر دجلة وكذلك منطقة الاعظمية على الجانب الشرقي من النهر فقد كانت المسارات داخلية منتشرة بين الازقة السكنية ومتمحورة بشكل رئيسي حول ضريحي الامام موسى الكاظم في الكاظمية ومرقد الامام ابي حنيفة في منطقة الاعظمية، فضلاً عن وجود مسارات اخرى تربط منطقتي الكاظمية والاعظمية عبر نهر دجلة، واخرى تربط منطقة الكاظمية بمنطقة الكرخ بمسار محاذي لنهر دجلة وكذلك مسارات تربط منطقة الاعظمية بمنطقة الرصافة بسمار محاذي للنهر ايضاً. (الشكل 11).

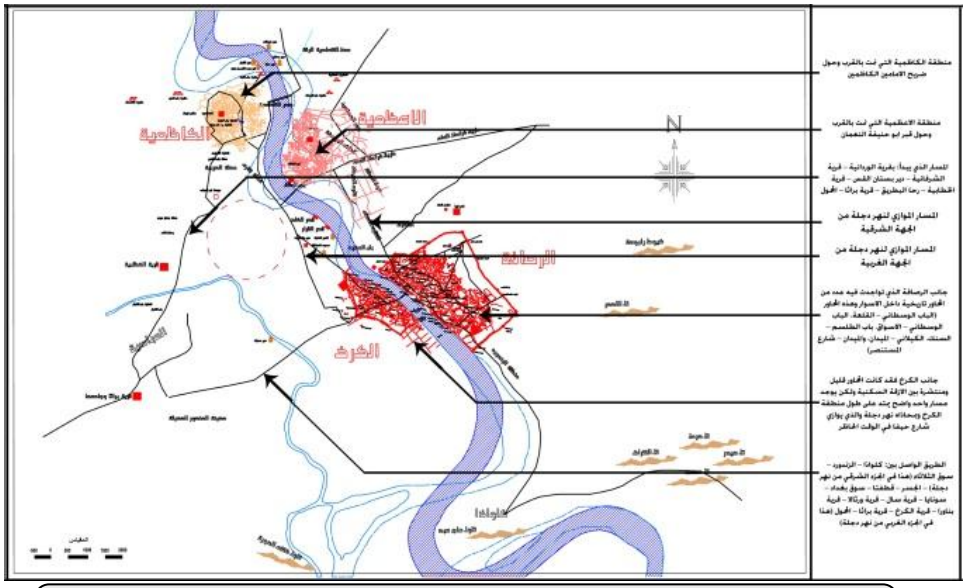

الشكل (11) مخطط يوضح المسارات وعقد الفعاليات الانسانية في منطقة بغداد بعد نشوء السور الشرقي سنة 1519م
اعداد وايضاح الباحث بالاعتماد على اطلس بغداد لاحمد سوسة

ان اهمية المسار الرابط بين ضفتي النهر قد ازدادت مع ازدياد تكاثف البناء على جانبي النهر حيث بقي النهر المحور الطبيعي ومورد الحياة وطرق المواصلات. وعليه فان المحور الرابط بين الضفتين قد ازداد اهمية، ويقوم اليوم بموقع جسر الاحرار. كما ان استمرارية المحور الى الجنوب من الكرخ وصولاً الى منطقة العلاوي والتي تؤشر المحور التاريخي، ان البوابة الرئيسية للسور الغربي كانت تقع في هذه المنطقة وكذلك موقع توقف قوافل المسافرين بين الحلة الى بغداد، اذ كانت الحلة هي الموقع الذي يتوقف فيه الراحلة في الفرات – وعليه تعرف اهمية هذا المحور الرابط بين طرفي المدينة وبنفس الوقت الرابط بالمواصلات مع خارج المدينة مع جنوب العراق وشرقه.

ويوضح المخطط الذي وضعته دراسة (J.C.C.P) في الثمانيات من القرن العشرين لمنطقة الرصافة المحاور التاريخية، وهذه المحاور داخل المدينة المسورة تظهر بوضوح المسارات الرابطة بين البوابات وضفتي النهر، فضلاً عن المسار الموازي للنهر وكما سبق القول، فان هذه المحاور تظهر المسارات في نهاية الحقبة العثمانية وعدم وجود تأشير لموقع دار الخلافة يوضح حقبتها التاريخية المحددة. (الشكل 12).

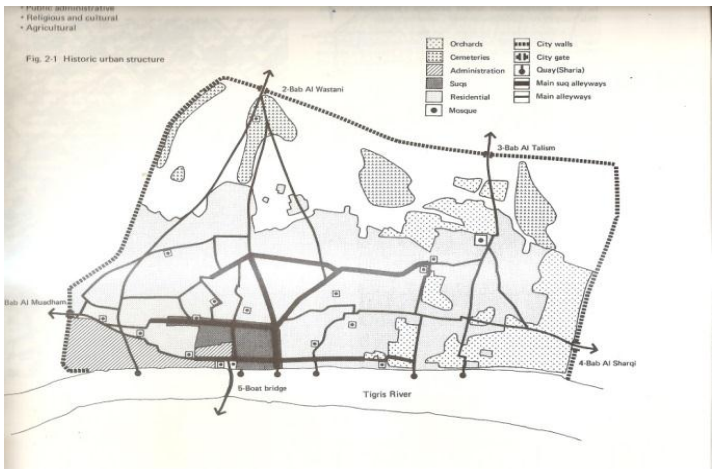

الشكل (12) المخطط الذي وضعته دراسة (J.C.C.P) في الثمانينات الذي يوضح المحاور التاريخية لمنطقة الرصافة
المصدر: دراسة (J.C.C.P)

4-2- العلاقات الاساسية على مستوى عقد الفعاليات الانسانية للحقبة الثالثة:

اما بالنسبة الى العقد التي كانت موجودة في الحقبات السابقة والمتمثلة بالأسواق التجارية، فقد استمرت وبشكل كبيرة ومتميز في هذه الحقبة، واستمر نمو الاسواق في مواقع كانت قائمة بها، وامتدت الى مناطق اخرى حول دار الخلافة وازداد تخصصها في مراحل لاحقة ضمن هذه الحقبة من تاريخ المدينة , واهمها سوق دعيت بسوق الريحانيين، دامت عبر الزمن لتبلور حولها منطقة الشورجة الحالية الواقعة قرب جامع الخلفاء , وهي احدى اهم المراكز التجارية لبغداد حتى اليوم، وكذلك سوق الصفارين وسوق الدهانة في الجانب الشرقي من بغداد، اما في الجانب الغربي من بغداد فهناك سوقين رئيسيين في المنطقة هما سوق الحدادين وسوق عيسى.

لقد بدأت عمارة الاسواق في هذه الحقبة بالوضوح في مسارات طولية ليست بالضرورة مستقيمة، تتقاطع معها مسارات معترضة مكملة، كان المسار الرئيسي مسقفاً بقباب مفتوحة الوسط من الاعلى وبشكل مستمر عبر محورية السوق، وهكذا كان وضع سوق الشورجة حتى مطلع القرن العشرين، ولا يزال واحد فقط من اسواق بغداد يحمل هذه الخواص العمرانية وهو سوق السراجين الموازي لسوق السراي والذي يفتح عليه باب جامع الوزير.

ولا تزال محاور هذه الاسواق قائمة الى اليوم كبنى واضحة في بغداد وان زال اسلوب تسقيفها الاول الا ان التسقيف استمر بأساليب اخرى خلال القرن العشرين، ومن اهمها اسواق باب الاغا واسواق الشورجة كما سبق ذكره واسواق منطقة الصدرية والسيد سلطان علي.

اما بالنسبة الى الفعالية الاهم في الموقع والتي هي فعالية السكن، فقد استمرت على ماهي عليه من الاهمية ولكن بشكل بدأ بالانحسار باتجاه نهر دجلة وداخل الاسوار بشكل رئيسي فضلاً عن تجمع السكن في منطقتي الاعظمية والكاظمية حول المراقد (جامع الامام ابو حنيفة النعمان في منطقة الاعظمية في الجزء الشرقي من نهر دجلة، ومرقد الامام الكاظم (عليه السلام) في منطقة الكاظمية في الجزء الغربي من نهر دجلة). (الشكل 11).

ان كل ما تبقى من النسيج التاريخي (التراثي) في مدينة بغداد يعود لهذه المنطقة داخل الاسوار في الرصافة والكرخ، وقد خرب جزء كبير من هذا النسيج، ولا تزال هناك قطاعات تخطيطها قائما على عضوية ذلك النسيج بأزقته وتضام بنيانه وان كانت قد تداخلت معها شوارع عريضة فتحت في القرن العشرين وهدمت اجزاء منه وبنيت محلها ابنية معاصرة – ولن نتطرق هنا الى خواص النسيج السكني التراثي بتكامل تكوينه الوظيفي السكني الاجتماعي، المناخي، والثقافي وعلى مدى مئات من السنين والتي تعود الى الحقبة العباسية المتوسطة.

وهذا النسيج هو من البنى العميقة الرئيسية على مستوى الفعالية السكنية وكذلك على المستوى الفيزياوي العمراني الاساسي لعلاقات الكتل والفضاءات في المدينة.

عقدة الزراعة التي كانت متميزة وواضحة في الحقب السابقة، اصبحت هذه العقدة ربما غير واضحة او غير معرفة بشكل كبير كما في السابق حيث لم يأت على ذكرها احد من المؤرخين او الباحثين او تحديد الاماكن التي استخدمت للزراعة ضمن المنطقة، بل اكتفوا بذكر ان المناطق التي تقع خارج اسوار المدينة الشرقية والغربية قد استخدمت للزراعة.

4-3- العلاقات الاساسية للحافات (الطبيعية والحضرية) للحقبة الثالثة:

طوال 1000 عام من تاريخ مدينة بغداد شهدت المنطقة تغيراً في جغرافيتها وطوبوغرافيتها، حيث انها لم تستمر على ما كانت عليه، وخصوصاً من ناحية الحافات الحضرية التي شهدت هذه الحقبة احاطة المدينة بأسوار ضخمة تحتوي على عدد من الابواب والتي كانت مكونة من جزئيين، جزء يقع على الجانب الشرقي من نهر دجلة والذي احاط بالمنطقة المركزية ومكان الحكم فضلاً عن احاطته للمناطق السكنية الواقعة ضمنة وكذلك الاسواق وغيرها، اما الجزء الثاني فهو يقع على الجهة الغربية من نهر دجلة وقد احاط بالمناطق السكنية والتي تعتبر اقدم مناطق السكن ضمن مدينة بغداد، فضلاً عن الاسواق التي تواجدت في تلك الحقبة. (الشكل 12).

وقد نمت مناطق اخرى خارج حدود الاسوار وهي على جانبي نهر دجلة، و نشأت هذه المناطق بسبب وجود الاضرحة الدينية، مثل ضريح الامام موسى الكاظم عليه السلام والذي كان في الجزء الغربي من نهر دجلة (منطقة الكاظمية حالياً)، اما الضريح الثاني والذي كان على الجانب الشرقي من نهر دجلة فهو ضريح ابى حنيفة النعمان (منطقة الاعظمية حالياً). (الشكل 12). وكما اتينا على ذكرها سابقاً.

بالنسبة الى الحافات الطبيعة التي كانت متواجدة في حقبات سابقة، فأهم الحافات الطبيعية في هذه الحقبة وكذلك في الحقبات السابقة هو نهر دجلة الذي يعتبر النهر الرئيسي في المنطقة والتي نمت على جانبيه الشرقي والغربي مدينة بغداد في مختلف ادوارها، فضلاً عن الجزء الشرقي والغربي المسور من مدينة بغداد والذي كانت على جانبي نهر دجلة.

اما بالنسبة الى بقية الانهار والقنوات التي تواجدت في المنطقة وفي حقبات سابقة فقد اختفت او لم تعد ذات اهمية للمنطقة، حيث ان المخططات التاريخية التي وردت من قبل المؤرخين والباحثين في وصف المنطقة في تلك الحقبة لم يأتوا على ذكر هذه الانهار مثل (نهر الصراة ونهر الرفيل)، اما بسبب اختفائها من المنطقة او لانها لم تعد نقطة تجذب الناس لأنشاء القرى والمستوطنات على جوانبها. (الشكل 12).

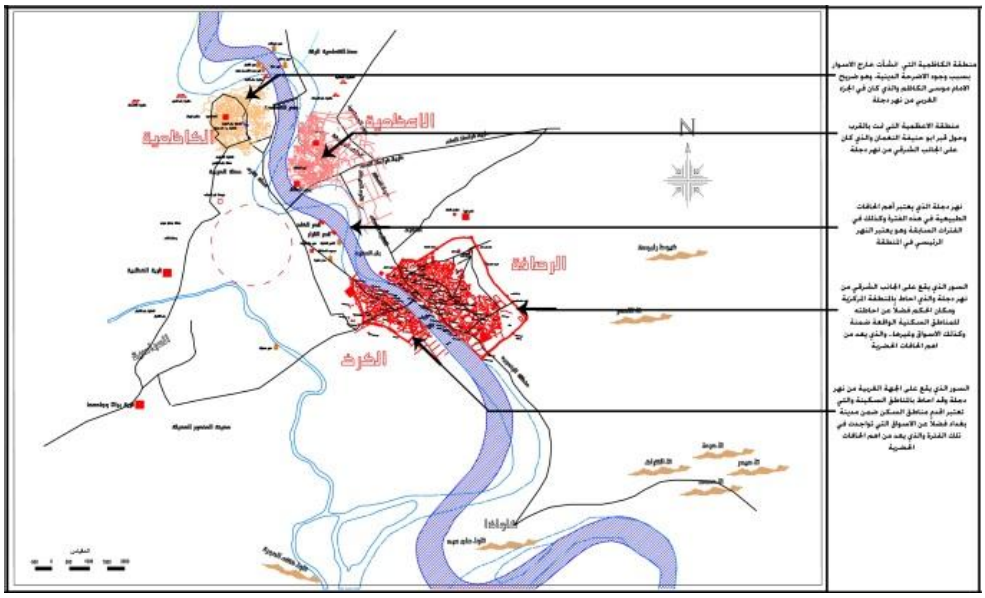

الشكل (12) مخطط يوضح الحافات الطبيعية والحضرية في منطقة بغداد بعد نشوء السور الشرقي سنة 1519م
اعداد وايضاح الباحث بالاعتماد على اطلس بغداد لاحمد سوسة

وعلية فان نهر دجلة هو الحافة الطبيعة الوحيدة التي استمرت طوال تاريخ مدينة بغداد، اي قبل نشوء المدينة المدورة الى يومنا هذا، كعقدة حيوية مهمة في حياة مدينة بغداد، واحد الاسباب الرئيسية في انشائها. (الشكل 13).

الشكل (13) نهر دجلة (الحافة الطبيعية الرئيسية لمدينة بغداد).
عن (الانترنت www.iraker.dk)

4-4- الترابطات او التدرج الهرمي للعلاقات للحقبة الثالثة:

بالنسبة الى التدرج الهرمي في تلك الحقبة من تاريخ بغداد فقد انحسر التجمع السكاني في اربع مناطق واضحة ورئيسية ضمن المنطقة ككل، حيث يظهر ذلك واضحاً في المخططات التي وردت من قبل المؤرخين والباحثين، وهي متمركزة في منطقتي الرصافة المسورة والاعظمية على الجانب الشرقي من نهر دجلة، وكذلك في منطقتي الكرخ والكاظمية على الجانب الغربي من نهر دجلة.

فضلاً عن وجود تدرج في الكثافة والارتفاعات كلما ازداد الاقتراب من مركز المنطقة، كما في منطقة الكاظمية ومنطقة الاعظمية حيث تزداد الكثافة السكانية والبنائية كلما ازداد الاقتراب من ضريح الامام موسى الكاظم ومرقد الامام ابي حنيفة، وكذلك الحال في منطقتي الرصافة والكرخ حيث تزداد هذه الكثافة باتجاه المساجد والكنائس والاديرة وكذلك الحال باتجاه الاسواق، وعليه فان هذا التدرج اعتمد بالأساس على وجود نواة مركزية (سواء كانت مركزية من حيث الوظيفة او من ناحية الحجم والارتفاع، او حتى من ناحية الاستخدام اليومي كالأسواق والجوامع)، وتنتشر حول هذه النواة المركزية بقية مكونات المدينة او المنطقة فضلا عن ارتباطها بالمناطق المجاورة لتوفير الاحتياجات التي تعذر وجودها في هذه المناطق.

وقد اصبح هناك تدرج وانتقال في مركز الحكم، حيث انتقل المركز من دار الخلافة الذي هو مجمع لقصور الخلفاء الى القلعة في القرن السادس عشر واعتبارها المركز العسكري الرئيسي، وقد استمر في نفس الحقبة استخدام القصر العباسي كمركز عسكري ومركز مدني ضمن ابنية القلعة، ثم دار الوالي، ثم ظهور القشلة والتي اصبحت مركزا للجيش ومركزا مدنياً.

وعليه فان اهمية دار الخلافة بكونها مركزاً حضرياً قد انتهت مع نهاية الحقبة (نهاية الاحتلال العثماني)، وبذلك نؤشر انتقالا لموقع المركز السياسي الحضري الى الشمال منها وعلى امتداد دجلة مع ابنية المدرسة الرشدية (ابنية المحاكم في منتصف القرن العشرين ومنتدى بغداد حالياً)، ثم مبنى القشلة الذي بني في منتصف القرن التاسع عشر مروراً بالسراي وهو المركز الحكومي الرئيسي الذي بدأ بناؤه مع بدء الحكم العثماني في القرن السادس عشر ثم دار الوالي، وصولاً الى المدرسة العلية ثم ابنية القلعة، وكانت تجاور هذا المجمع الحكومي ساحة الميدان والتي عدت العقدة الفضائية الرئيسية للمدينة في نهاية الحقبة العثمانية.

4-5- المستويات الدلالية ومستويات الإمكان للعلاقات اعلاه للحقبة الثالثة:

ان المستويات الدلالية والرمزية في هذه الحقبة من تاريخ مدينة بغداد، ربما لم تكن بالوضوح الذي كانت علية في الحقبة السابقة، حيث ان تكوين المدينة جاء نتيجة تتابعية لتحولات ظهرت على مدينة بغداد ككل، ومع ذلك فان هذه الحقبة لم تخلو من هذه الدلالات الرمزية، وربما في مقدمتها هو وجود الرمزية الروحية العالية والتي تواجدت في الاضرحة والمتمثلة بضريح الامام موسى الكاظم في الجانب الغربي من نهر دجلة وفي منطقة الكاظمية بالتحديد والتي كانت تعرف بمقابر قريش في اوقات سابقة، وكذلك بمرقد وقبر الامام ابي حنيفة النعمان في الجانب الشرقي من نهر دجلة وفي منطقة الاعظمية بالتحديد فضلاً عن ضريح ومدرسة عبد القادر الكيلاني في منطقة المركز وهي موضوع بحثنا، حيث لهذه الرمزية الروحية والدينية العالية لدى الناس جعل من هذه المراكز نقاط جذب، حيث ساعدت على نشوء الاسواق والمناطق السكنية حولها، فضلاً عن ان لهذه الاضرحة دلالية ادراكية متمثلة في ارتفاعها وحجمها وكونها ترى من كافة انحاء المدينة.

اما بالنسبة الى منطقتي الرصافة في الجانب الشرقي والكرخ في الجانب الغربي من نهر دجلة، ربما لم تكن هنالك تلك الرمزية الروحية المركزية كما في منطقتي الكاظمية والاعظمية، بل تواجدت دلالات رمزية روحية منتشرة في ارجاء المنطقة والتي كانت بدورها نقاط جذب للمناطق الصغيرة القريبة منها، فضلاً عن وجود دلالات رمزية عمرانية ومتمثلة بالقصور والمدارس والتي تواجدت في تلك الحقبة.

ولا يخفى في هذا كله دور الدين الاسلامي في كثير من الجوانب الحضرية والمعمارية، حيث كان للدين ودلالاته الروحية والرمزية دور في اظهار وبلورة روحية المدينة.

اما بالنسبة الى مستويات الامكان فان هذه الحقبة غنية بهذه المستويات، واهمها هو الامكانات الكبيرة التي تؤثر به اماكن الاسوار سواء كانت الاسوار الدائرية للمدينة المدورة او الاسوار اللاحقة التي بنيت حول الرصافة والكرخ وعلى جانبي نهر دجلة، حيث ان لهذه الاسوار رمزيتها الكبيرة ضمن المكان وتاريخ المدينة بشكل خاص.

وكذلك هناك مستويات الامكان خاصة لدار الخلافة وما يعني هذا الموقع والمركز للمدينة ككل حيث يمكن ان يستفاد من هذه المستويات في مشاريع التطوير الحضري لمدينة بغداد، لاسيما مشاريع التطوير الحضري الخاصة في الرصافة التاريخية ومشاريع تطوير شارع الرشيد.

هذا فضلاً عن مستويات الامكان الخاصة بالمناطق السكنية ولاسيما في الجزء الغربي من نهر دجلة التي تعد من اقدم المناطق التي سكنت في الموقع وضمن تاريخ مدينة بغداد مثلا منطقة الشواكة التي هي في نفس موقع قرية سونيا وقطفتا التي كانت متواجدة في الموقع قبل المدينة

المدورة. فضلاً عن امكانات محاور الاسواق التقليدية ومحاور الحركة التقليدية وامكانات الاستفادة منها في مشاريع التطوير الحضري.(الشكل الرقم 14).

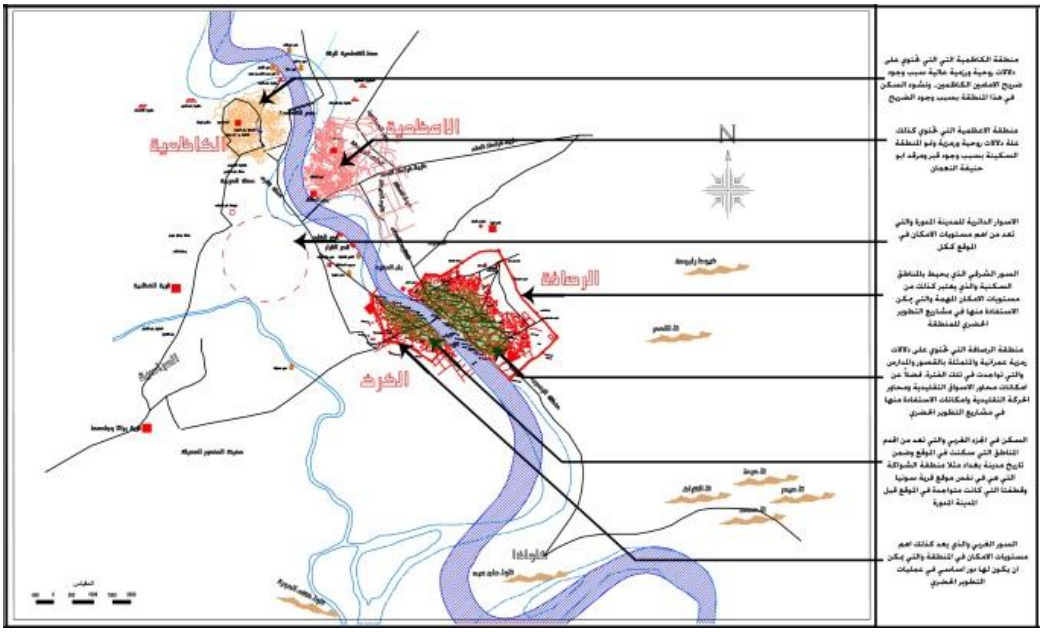

الشكل (14) مخطط يوضح مستويات الامكان في منطقة بغداد بعد نشوء السور الشرقي سنة 1800م
اعداد وايضاح الباحث بالاعتماد على اطلس بغداد لاحمد سوسة

مما سبق يتبين ان في هذه الحقبة من تاريخ مدينة بغداد قد احتوى الموقع على بعض العقد المهمة والاساسية التي كان لها دوراً اساسياً في تحديد ملامح وخصائص المدينة، ويمكن ان تعد هذه الحقبة اهم الحقبات التي شهدت ظهور حافات حضرية واضحة وقوية ومتينة، ومتمثلة بالأسوار التي تم انشائها على جانبي نهر دجلة الشرقي والغربي، فضلاً عن مراكز الحكم التي كانت متميزة في هذه الحقبة. فضلاً عن المناطق السكنية التي تعد من اهم العقد التي تواجدت في الموقع واقدمها، الى جانب نهر دجلة الذي يعد اقدم واهم حافة طبيعية تواجدت في الموقع ككل.

5- تحليل البنى الحضرية والمعمارية لمدينة بغداد المعاصرة:

تبدأ هذه الحقبة في اواخر القرن التاسع عشر وتحديداً في عام 1869م عندما قام الوالي العثماني مدحت باشا بهدم اسوار مدينة بغداد لإكمال بناء المراكز الحكومية والعسكرية العثمانية، وتستمر هذه الحقبة الى عام 2013م ولا يشمل تحليلنا المناطق الجديدة المستحدثة من بغداد، ولكن يشمل تقصي ما حصل بالمواقع التي تم تحليلها في الحقب السابقة، ولقد كان لهذه الفعل (هدم الاسوار) دور كبير في التوسع العمراني والحضري للمدينة وانتشارها خارج حدود الاسوار، حيث اصبحت هنالك تطورات كبيرة في البنى الحضرية والمعمارية لمدينة بغداد وضمن حقبات زمنية قصيرة نسبياً على العكس من الحقبات السابقة من تاريخ المدينة حيث كانت هنالك تطورات حضرية ومعمارية قليلة وضمن حقبات طويلة نسبياً.

أن بغداد التي لم تختلف صورتها الحضرية العامة طوال قرون عن صورة المدينة عند بناء اسوارها، بتراص كتلها البنائية وطراز البناء التقليدي مع بعض ملامح الطرز الاسلامية التاريخية، وبدأت مع مطلع القرن العشرين تمر بالتغير الكبير، وقد قسم معظم الباحثين المراحل المتعاقبة التي مرت بها المدينة وفق العقود الزمنية المتعاقبة للقرن العشرين، لكن بغداد مرت بنقاط (لحظات) تغير اساسية في مسارها الحضري والثقافي، بعضها ارتبط بالتغيرات السياسية وبعضها الاخر بالتغيرات الاقتصادية، ومع هذين المتغيرين كانت المتغيرات الاجتماعية والسكانية تحصل بتواتر شديد، مما جعل المدينة تنتقل بتسارع من صورة الى اخرى ثقافيا واجتماعيا وحضريا.

5-1- العلاقات الاساسية على مستوى المحاور (المسارات) للحقبة الرابعة:

في هذه الحقبة من تاريخ مدينة بغداد شهدت المسارات تطور وتوسع كبير، حيث اصبح هنالك مسارات رئيسة ضمن المدينة واخرى مسارات ثانوية، وان هذا التوسع والتطور الكبير الذي ظهر على المسارات والمحاور الحركية سببه التوسع الكبير للمدينة، حيث لم تبق مدينة بغداد متقيدة بنهر دجلة في نموها بل اصبح نالك نمو بالاتجاه العمودي على نهر دجلة اي باتجاه الشرق الغرب، حيث ان هذا الانتشار والتوسع لاسيما للمناطق السكنية وبعيداً عن مركز المدينة، تطلب انشاء عدد كبير من المسارات والمحاور الحركية من اجل ربط هذه المناطق مع

بعضها، فضلاً عن ربطها بمركز المدينة، وقبل ايضاح اهم المسارات في هذا الحقبة لابد من التأكيد على ان المسار التاريخي لموقع بغداد (الطريق الواصل بين: **كلواذا – الزندورد – سوق الثلاثاء** (هذا في الجزء الشرقي من نهر دجلة) **– الجسر – قطفتا – سوق بغداد – سونايا – قرية سال – قرية ورثالا – قرية بناورا – قرية الكرخ – قرية براثا – المحول** (هذا في الجزء الغربي من نهر دجلة)، قد استمر ولازال محافظاً على مساره ولو بتغيرات بسيطة .

ولعل اهم هذه المسارات هذه الحقبة والذي يعد اول شارع حقيقي في بغداد المعاصرة هو :

شارع الرشيد: يعتبر شارع الرشيد بالمفهوم التخطيطي الحديث أول شارع رئيسي يشق في المدينة، حيث يمتد حوالي (3 كم) من الشمال الى الجنوب و يتفرد موقعه بتحديده ما بين بوابتين قديمتين ما بين الباب الشرقي و باب المعظم، وافتتح الشارع في ولاية خليل باشا في 23 تموز عام 1916 وقد سمي أول الأمر باسم (جادة خليل باشا) أو الجادة العامة أو الجادة اختصارا وثبت ذلك على قطعة من الكاشي المزجج كانت موضوعة فوق قاعدة منارة جامع سيد سلطان علي في الزاوية الجنوبية ، وبعدها اطلق الانكليز عند احتلالهم بغداد في 11 آذار 1917 على هذا الشارع اسم (الشارع الجديد) وبعده سمي (شارع الرشيد) .(النقشبندي، 2002،ص10). (الشكل 15).

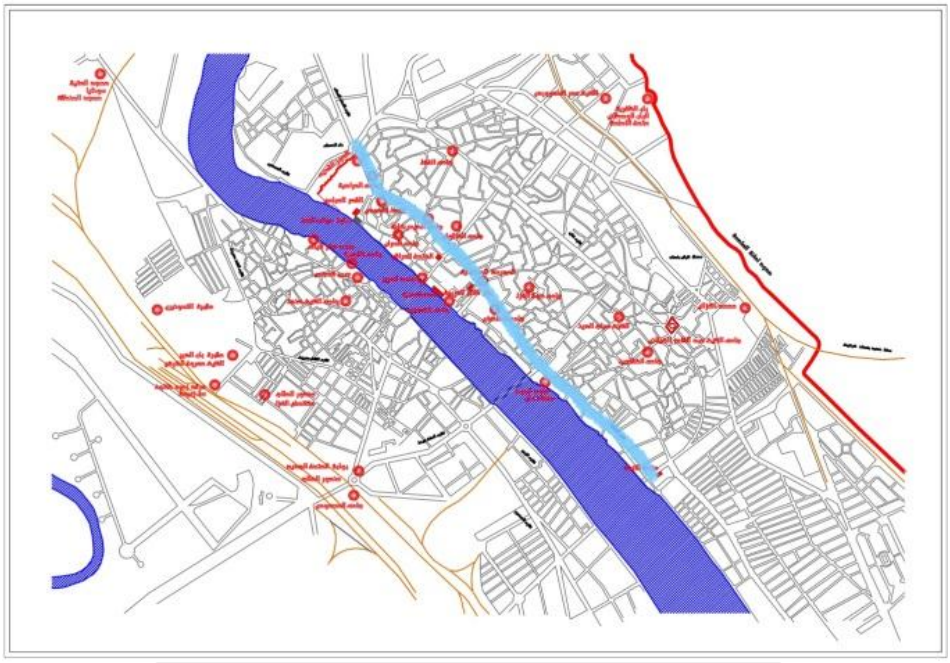

الشكل (15) منطقة حوض شارع الرشيد الممتد بين باب المعظم وساحة التحرير
اعداد وايضاح الباحث بالاعتماد على مخطط بغداد من http://www.iraqnaa.com

شارع غازي (الكفاح): بعد فتح شارع الرشيد تم فتح شارع الكفاح وباسم شارع غازي سابقاً ويربط بين ساحة التحرير (ساحة الملكة عالية) وباب المعظم، وذلك في اربعينات القرن العشرين، وهذا الشارع ايضاً له رواق معمد لكن طراز بنائه المعماري امتاز بالحداثة مغايراً لرواق شارع الرشيد، وهذا الشارع قطع جزءاً كبيراً من النسيج التراثي، وهو بشكل متعامد مع اغلب المحاور التاريخية التي كانت قائمة في المنطقة. (النقشبندي، 2002،ص13) (الشكل 16).

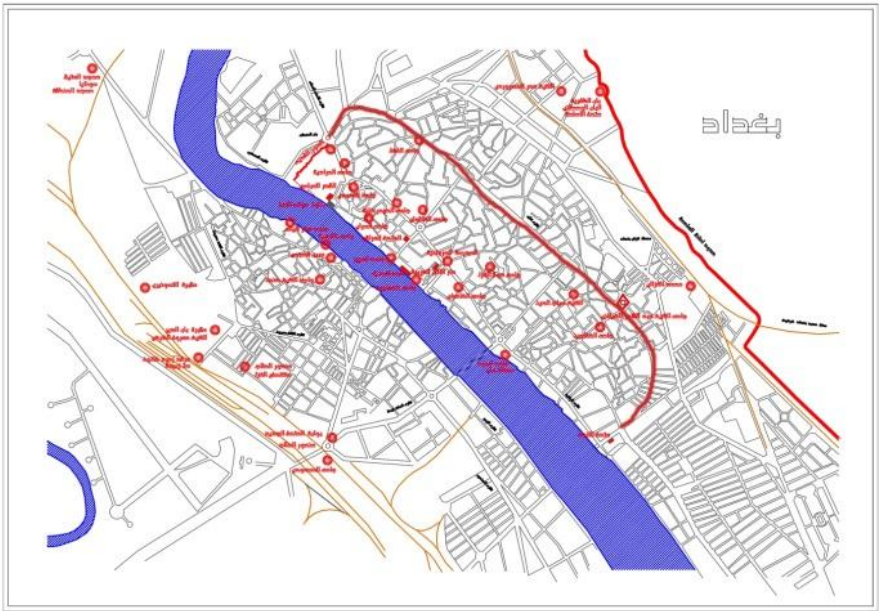

الشكل (16) منطقة حوض شارع الكفاح الممتد بين ساحة التحرير وباب المعظم
اعداد وايضاح الباحث بالاعتماد على مخطط بغداد من http://www.iraqnaa.com

5-2- العلاقات الاساسية على مستوى عقد الفعاليات الانسانية للحقبة الرابعة:

في هذه الحقبة من تاريخ بغداد شهدت العلاقات الاساسية على مستوى الفعاليات الانسانية تغيرات كبيرة، لاسيما ان الحياة في بغداد اخذت منحنى اخر وظهور فعاليات لم تكن متواجدة في الحقبات السابقة، اما بالنسبة الى السكن فمازالت هذه قائمة ولا زال السكن التاريخي في الجانب الغربي من نهر دجلة والذي يعد اقدم سكن في الموقع ككل مستمرا وبشكل كبير ومهم، فضلاً عن السكن في بقية المناطق التاريخية مثل الرصافة ومنطقتي الاعظمية والكاظمية على جانبي نهر دجلة.

تعرض السكن في هذه المنطقة للكثير من الاستعمالات غير السكنية كالفعاليات التجارية والادارية وحركة السيارات والسابلة وتدهور الخدمات السكنية الرئيسة، خاصة بعد ان تعرضت الازقة التقليدية الى التقاطعات مع الشوارع الكبيرة التجارية، بما جزء المحلات السكنية وترابطاتها النسيجية التي كان تكاملها يمثل البنية الاساسية للسكن فيها، وعليه فان هذه البنية قد تعرضت لتحولات كبيرة وان كانت لم تندثر كلياً ولكن من الصعب اعتبارها بنية عميقة مستمرة، فنوع السكن فيها والتحولات الاخرى الحاصلة تقتضي ان يعاد معالجتها في اعمال اعادة تأهيل لاستعادة العلاقات الاساسية للبنية.

نشأت بنى الفعاليات مستمرة في المنطقة اهمها الفعالية الحكومية والفعالية المالية مع استمرار الفعالية التجارية المتمثلة بالأسواق عدا محاور الاسواق التقليدية والتي بقت على تخصصاتها التاريخية، فقد نشأت فعالية تجارية معاصرة على جوانب الشوارع العريضة وتداخلت مع الاسواق التقليدية، ورغم ان بنية الاسواق التقليدية لاتزال قائمة مع اغلب علاقاتها الاساسية، لكن تداخلها ضمن الانماط التخطيطية التي تمثل بنية جديدة للمنطقة، فضلاً عن تدهور الخدمات واستمرار اسواق الجملة وتداخلها مع الفعاليات الصناعية يهدد هذه البنية مما يجعلها بحاجة الى اعادة تأهيل ضرورية شاملة للعلاقات القائمة والمستحدثة بما يضمن استمرارية البنية التي كانت ذات حيوية دائمة. (الشكل 17).

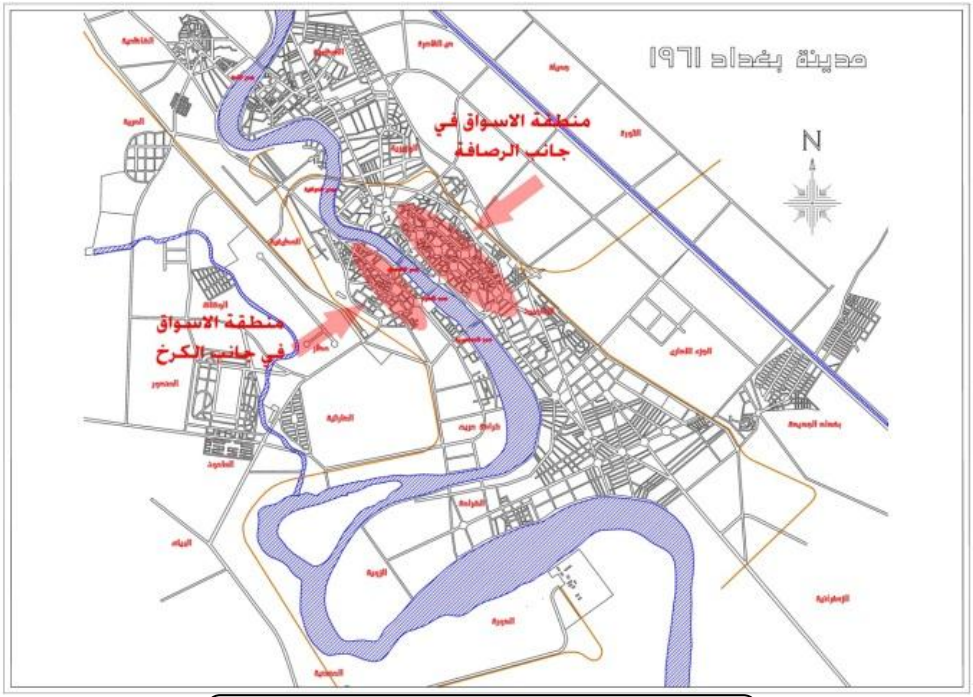

الشكل (17) منطقة الاسواق القديمة في جانب الرصافة والكرخ
اعداد وايضاح الباحث

اما بالنسبة الى الزراعة فلم تعد كما كانت حيث انحسرت هذه المهنة بشكل كبير، واتجهت نحو اطراف المدينة، اي ان المساحة التي كانت تستخدم في الزراعة في الحقبات السابقة من تاريخ بغداد لم تعد هي نفسها بل اختصرت بشكل كبير واصبحت خارج حدود المدينة.

5-3- العلاقات الاساسية للحافات (الطبيعية والحضرية) للحقبة الرابعة:

بالنسبة الى الحافات الطبيعية في هذه الحقبة من تاريخ مدينة بغداد، لم يشهد تغير كبير عن الحقبة السابقة وان نهر دجلة هو الحافة الطبيعية الرئيسية ضمن محيط المنطقة، حيث تمحورت وامتدت المدينة على الجانبين الشرقي والغربي من نهر دجلة الذي يعتبر السبب الرئيسي لنشوء مدينة بغداد، حيث ان بداية الامتداد الحضري للمدينة والذي حصل بعد هدم السور كان على جوانب نهر دجلة ثم اخذ بالانتشار بالاتجاه العمودي على النهر.

في الستينيات من القرن الماضي قامت امانة بغداد بأنشاء ممر مائي اطلق عليها اسم قناة الجيش والذي يبلغ طوله 23كم، يمتد من شمال بغداد الى الجنوب في الجانب الشرقي من نهر دجلة وبشكل موازي تقريباً لنهر دجلة، وكان الهدف من انشاء هذا الممر المائي ليس تجهيز المياه الى اراضي زراعيه فقط وانما انشاء حدائق وساحات جميلة لزيادة الرقعة الخضراء وانشاء واحدة من المعالم السياحية الواسعة الجميلة ممتدة من نهر دجلة الى نهر ديالى حيث مصب هذه القناة. (الشكل 18).

هذا بالنسبة الى الحافات الطبيعية المائية، ولكن قد برز وربما بشكل واضح في هذه الحقبة حافات او عقد طبيعة اخرى متمثلة بالمساحات الخضراء والمتنزهات والتي تم أنشاءها في حقبات مختلفة واماكن مختلفة من بغداد، وربما في مقدمتها هي متنزه الزوراء (كانت معسكراً سابقاً باسم معسكر الوشاش)، وجزيرة الاعراس (جزيرة ام الخنازير سابقاً)، فضلاً عم منطقة ترفيهية شمال بغداد تعرف باسم جزيرة بغداد فضلاً عن مواقع اخرى في شارع فلسطين.(الشكل 18).

اما بالنسبة الى الحافات الحضرية فقد ازداد اتساع المدينة وبشكل كبير وضمن حقبات زمنية قليلة وتم تقسيمها الى شبكة من الطرق والمناطق الحضرية وربطها مع بعضها مما جعلها وحدة واحدة، هذا بالنسبة الى الحافات الداخلية ضمن المدينة اما بالنسبة الى الحافات الخارجية وهي في تغير ونمو مستمرة وهنالك عدد من المخططات الاساس لمدينة بغداد التي وضعت من قبل شركات مختصة وفي حقبات مختلفة، وقد حددت هذه المخططات ملامح وشكل المدينة وحدودها الخارجية.

ان ما تم طرحة في تحليل البنية التخطيطية في المدينة من شبكة الشوارع وترابطاتها قد خلقت حافات معينة وخاصة الطرق السريعة التي لا يمكن للسابلة قطعها – وقد تم في التسعينات الغاء مسار (نهر الخير) في الكرخ وهو ما يؤشر اندثاراً اخر ملامح الانهار والقنوات المائية التي كانت قائمة جنوب المدينة المدورة، ان اندثار هذا النهر او القناة لا يمثل فقط الغاءاً لبنية قائمة (كانت قد مرت بمراحل تحول خلالها الى منطقة غير صحية) انه الغاء لكل البنية التي تعود الى مرحلة المدينة المدورة ومقابلها، ان الابقاء عليها او اعادة تأهيلها يمثل ديمومة واستمرارية لبنية فضاء مفتوح تاريخي وليس مشروعاً اعتيادياً فقط.

5-4- الترابطات او التدرج الهرمي للعلاقات للحقبة الرابعة:

ان العلاقات الاساسية على مستوى الترابطات والتدرج الهرمي في هذه الحقبة من تاريخ بغداد ما بقت كما كانت عليه في السابق، حيث ان المدينة ما بقت محصورة او متمركزة في المناطق القريبة من النهر او في المناطق القريبة من عقد الفعاليات الانسانية كما كانت علية، مثل تجمع المناطق السكنية حول الاضرحة الدينية وكذلك بالقرب من مناطق الاسواق وغيرها من العقد المكانية، حيث ان المدينة اخذت طابعا مختلف في الامتداد معتمداً بذلك التوسع نحو الاطراف والاستفادة من المساحات المتوفرة.

من ابرز ملامح التغير التي حدثت على النسيج الحضري فكان في ظهور الضواحي الجديدة خارج القلب التاريخي (الجزء المسور) , فظهرت مناطق الوزيرية شمالا والسعدون جنوبا والصالحية وكرادة مريم في الضفة الغربية لدجلة، وفي حين كان النسيج الحضري التقليدي قائما باختراق بسيط، فظهرت هذه الضواحي وفقا لأنماط تخطيطية معاصرة (كما ذكرنا) مثل المدن الحدائقية Garden city والتخطيط الشبكي Grid iron. (السلق، 2006، ص42).

وعليه يتبين ان مدينة بغداد اصبحت مترابطة بشكل مختلف عما كانت عليها ولسبب كبر المساحة التي شغلتها المدينة بسبب ازدياد اعداد السكان فيها، فضلاً عن التحول الذي حصل في المناطق التاريخية والقديمة التي اصبحت مناطق تجارية وصناعية بالدرجة الاولى، وانتقال صفة السكن نحو اطراف المدينة او الضواحي، مما اعطى لهذه المناطق (المناطق التاريخية والقديمة من بغداد) صفة المركز، حيث اصبحت مناطق جذب لمزاولة الاعمال، وبذلك اصبحت مركز لمدينة بغداد. (الشكل 18).

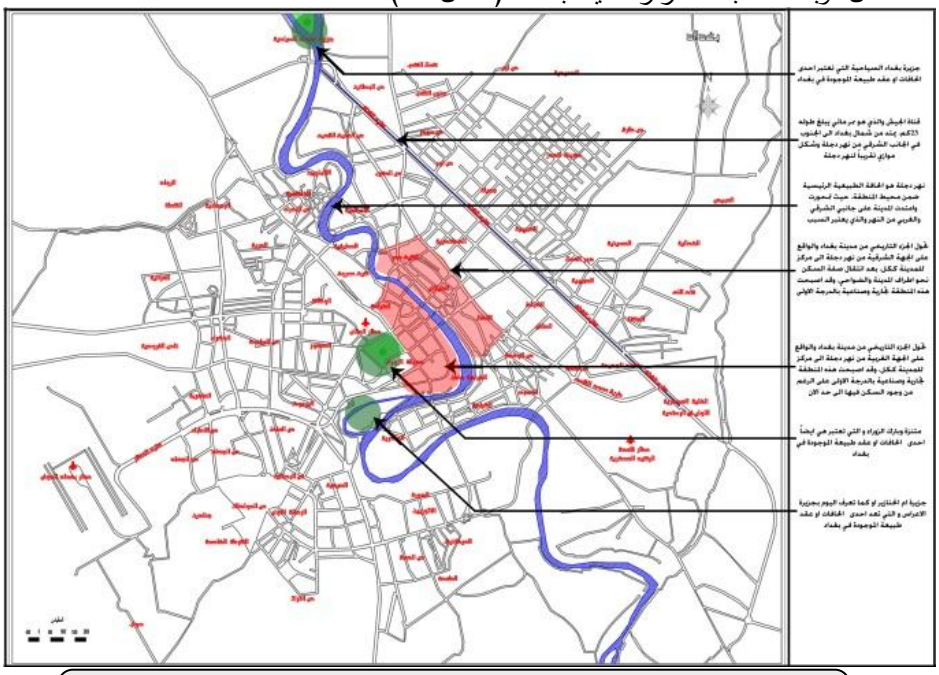

الشكل (18) مخطط يوضح الحافات الطبيعية والحضرية والتدرج الهرمي لمدينة بغداد المعاصرة سنة 2013م
اعداد وايضاح الباحث بالاعتماد على اطلس بغداد لاحمد سوسة

5-5- المستويات الدلالية ومستويات الإمكان للعلاقات اعلاه للحقبة الرابعة:

في هذه الحقبة لم يعد مستوى الدلالية واضحاً كما كان عليه في الحقبات السابقة، حيث ان نمو المدينة بشكل كبير وسريع، جعل من الصعب المحافظة على روحية المدينة، حيث ان هذه الرمزية والدلالية اقتصرت على عدد من العقد المعمارية وبعض من الفعاليات الانسانية.

وكما تبين في السابق عن دور الاسلام في صياغة روحية المدينة، فلا يخفى في هذه الحقبة عن هذا الدور الذي يمثله الدين الاسلامي حيث يمكن ملاحظة مظاهر الاسلام في المناطق التي نشأت بشكل كبير وسريع، اذ انها غالباً ما تحتوي على مركز ديني فضلاً عن عقد للفعاليات الانسانية مثل الاسواق والمتنزهات وغيرها، والتي تنتشر حولها القطاعات السكنية، فعليه يتبين ان هذه المناطق نشأت وفق روحية ورمزية محددة وهي روحية الدين الاسلامي.

وكذلك الحال بالنسبة الى مستويات الامكان فلم تعد مدينة بغداد بالقوة التي كانت عليها في حقبات سابقة من تاريخ مدينة بغداد كون ان اغلب عقد هذه الحقبة والتي يمكن ان تشكل امكانات كبيرة في التطوير الحضري لمدينة بغداد لازالت مستمرة ولكن بشكل سيء، اي ان اغلب العقد لاسيما العقد المعمارية لهذه الحقبة تعاني من الاهمال وقلة الاهتمام، مما حولها الى كيانات وابنية فارغة وغير مستغلة، والتي بدورها اذا ما استغلت بالشكل الصحيح يمكن ان تكون امكانات كبيرة واساسية في تطوير الحضري لأي منطقة من مناطق بغداد بشكل خاص ولتطوير لمدينة بغداد في الكامل بشكل عام.

فضلاً عن ذلك ظهرت في هذه الحقبة الطويلة والتي شملت مراحل في القرن العشرين (وربما كانت متواجدة في الحقبات السابقة ولكن بشكل غير واضح او لم تذكر بشكل كافي من قبل المؤرخين والباحثين)، عناصر دلالية نصبيه تحمل في طياتها رمزية او دلالة عالية لأحداث مهمة، او اشخاص مهمين قادوا الى احداث تغيرات مهمة في تاريخ مدينة بغداد المعاصر، ومن هذه النصب التي تواجدت في بغداد ضمن حقبات زمنية مختلفة نصب الجندي المجهول القديم الذي بني في مطلع الستينات في ساحة الفردوس، ومثل قيمة دلالية مهمة في المدينة، وقد تم هدمه في الثمانينات، الا ان قيمة الامكان لهذا النصب لاتزال قائمة ومؤثرة في مسار الاحداث في المدينة وخاصة السياسية والحضرية،(الشكل 19).

الشكل (19) نصب الجندي المجهول القديم في ساحة الفردوس
عن (الانترنت – مكتبة الصور النادرة)

ونصب الشهيد، وكذلك نصب التحرير في ساحة الحرية الذي مثل عملاً فنياً وحضرياً متميزاً قدم معلماً مهماً لبغداد ارتبطت به المدينة ولايزال قائماً ومؤثراً في الهوية الحضرية المعاصرة فضلاً عن الاثر النحتي الفني المميز له (الشكل 20)، وكذلك نصب لأشخاص مثل تمثال الرصافي، وتمثال كهرمانة ونصب الامومة، وتمثال ابي نؤاس وتمثال شهريار وشهرزاد وتمثال السعدون وتمثال عبد المحسن الكاظمي وتمثال ابي جعفر المنصور وتمثال عباس بن فرناس، وغيرها من التماثيل والنصب التي تعكس حدث او شخص مهم في تاريخ مدينة بغداد المعاصر.

الشكل (20) نصب التحرير في ساحة التحرير
عن (الانترنت – مكتبة الصور النادرة)

الاستنتاجات النهائية:

ومن تتابع البنى الحضرية لمدينة بغداد امكن استخلاص نقاط اساسية كانت مؤثرة في تتابع بناها تاريخياً.

- **ان موقع مدينة بغداد غني بالبنى الحضرية والمعمارية حتى قبل بناء المدينة المدورة، مما جعلها مركزاً مهماً ونقطة جذب ابي جعفر المنصور لأنشاء مدينته المدورة.**
- **بقى نهر دجلة المحور الاساسية لمدينة بغداد وعبر تاريخها الطويل، حيث يمكن اعتباره العقدة الطبيعية الوحيدة التي كانت وما زالت مصدر الحياة لمدينة بغداد.**
- **مثلت المدينة المدورة مع ما جاورها بنية حضرية واحدة (هي بغداد) كانت المدينة المدورة نواتها وتكاملت هذه البنية بنشوء محلتين اخريتين فيها هما الكرخ والرصافة.**
- **اعطى بناء المدينة المدورة في هذا الموقع اهمية ومركزية للموقع، ولكن مع بقاء البنى الحضرية والمعمارية (المحاور الاساسية وعقد الفعاليات الانسانية) التي كانت متواجدة في الموقع قبل بناء المدينة المدورة، بقيت نفسها واستمرت وتطورت فيه، مما يدل على ان الموقع قادر على استيعاب التغيرات والتبدلات والمحافظة على وجوده وقيمته.**
- **كان لابد لنشوء (المدينة المدورة) من ان تخلق مركزية في كيانها كمركز لدولة, وهكذا يمكن ان تعدد هذه الفترة هي الاولى التي تشهد نشوء مدينة ضمن الموقع بسبب نشوء مركز حضري ومدني للموقع ككل، فقد بقيت بنفس قيمتها المركزية هذه عندما حطم المأمون المدينة المدورة وقصر باب الذهب وسكن في قصر في الجانب الشرقي لبغداد .**
- **شهدت بغداد المعاصرة وخصوصاً بعد هدم السور على يد مدحت باشا، نمواً كبيراً وسريعاً، حيث اخذت مناطق سكنية جديدة بالظهور، وانتشرت في جميع الاتجاهات، وازداد عدد المسارات والمحاور الحركية عما كانت عليه من اجل تحقيق ترابط بين هذه المناطق الواسعة وربطها مع المركز.**
- **شهدت بغداد القرن العشرين تغيرات واضحة في مجال التخطيط، مما جعل القرن العشرين مليئاً بالبنى الحضرية.**

التوصيات النهائية:

- **عند القيام باي مشروع تطوير حضري او اي مشاريع تخطيطية لابد من دراسة بنية بغداد عبر تاريخها وعلاقاتها الاساسية مما سيسهل اتخاذ القرارات المهمة، حيث ان هذه الدراسة يمكن ان تكون السبب في عدم حصول انقطاع عن ماضي مدينة بغداد والتعامل مع هذه البنية بشكل سليم وعدم التعامل معها بشكل يقطع تلك البنية ويشتتها بدل ان يكاملها ويتواصل معها، حيث ان معرفة المسارات ومحاور الحركة الاساسية ضمن الموقع وكذلك اهم المناطق السكنية التاريخية ومناطق الفعاليات الانسانية يحول دون التداخل فيما بينها او ضياعها او الغائها نتيجة لعملية التطوير المعاصرة.**
- **ضرورة التعامل من اهم محور موجودة في الموقع مدينة بغداد وهو نهر دجلة بشكل اكثر تخصصاً ولاسيما من حيث استغلال مجرى النهر كمسار للنقل بشكل اكثر جدية، وكذلك استغلال الواجهة النهرية بشكل اكثر ملائمة وبما يناسب الانفتاح نحنو النهر بما يخص مشاريع التطوير الحضري للمناطق المطلة على النهر وكذلك بالنسبة الي المدينة بغداد ككل، وحتة بما يخص الابنية المعمارية المنفردة المطلة على نهر دجلة.**
- **ضرورة التعامل مع موقع المدينة المدورة وعدم تجاهله في عملية تطوير الحضري، وان لم يكن هذا التعامل تعاملاً فيزيائيا، ولكن بشكل يسمح بالاستفادة من الامكانات التي توفرها هذه العقدة المهمة في تاريخ بغداد ككل، فضلاً عن هذا يوصى الى الجهات المتخصصة القيام بأعمال التنقيب عن موقع المدينة المدورة واسوارها الثلاثة وقصرها المميز وقبته الخضراء، وكشف الكثير مما هو غامض الان من عمارتها.**
- **يوصى بضرورة الكشف والتنقيب عن مواقع الاسوار الشرقية والغربية لمدينة بغداد على جانبي نهر دجلة وكذلك ابوابها، والاستفادة من الامكانات المهمة والكبيرة التي يمكن ان تقدمها هذه العناصر في اي عملية تطوير حضري او تخطيط يحصل في المناطق القريبة منها او على مستوى مدينة بغداد ككل.**
- **ضرورة التعامل مع عقد الفعاليات الانسانية والمتمثلة بالأسواق ولاسيما الاسواق التاريخية ضمن مدينة بغداد، بأسلوب اكثر جدية، وضرورة دراسة تاريخ هذه الاسواق لتسهيل عملية تطويرها، وكذلك التأكيد على هذه الاسواق وعلى اهميتها في حياة**

المدينة السابقة والمعاصرة ضمن اي عملية تخطيط او تطوير حضري يحصل في المناطق المعنية او على مستوى مدينة بغداد بالكامل.

المصـــــــــــــــادر العربية

- الاشعب، خالص حسني وصباح محمود * **مورفولوجية المدينة*** مطبعة جامعة بغداد، 1983.
- اطلس بغداد التاريخي , من وضع احمد سوسة، بغداد، 1952 .
- ايغلتن, تيري,* **مقدمة في النظرية الادبية** * , ترجمة ابراهيم جاسم العلي, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد، 1992.
- الجابري ,محمد حسن, "**المدينة المحصنة الكرخ : دراسة تاريخية لمحلاتها القديمة**", وزارة الإعلام, بغداد, 2002.
- جان بياجه، البنيوية، ترجمة: عارف متيمنه وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، 1985
- جبرا وأخرون , "**بغداد بين الأمس واليوم**" , أمانة العاصمة ، بغداد ،1987.
- الجمالي، سومر محمود، *أثر **الاملاء في هيكلة النسيج الحضري*** رسالة ماجستير مركز التخطيط الحضري والاقليمي، بغداد، 2004
- جواد , مصطفى واحمد سوسة " **دليل خارطة بغداد المفصل** ", المجمع العلمي العراقي , بغداد ,1958 .
- الحنكاوي، وحدة شكر محمود، * **اثر التوجهات الفكرية في البنية الحضرية** * اطروحة ماجستير قسم الهندسة المعمارية الجامعة التكنولوجية، 2004.
- حيدر صلاح يعقوب، ***التنظيم المكاني وأثره في تطوير البنية الحضرية*** رسالة ماجستير مقدمة الى مركز التخطيط الحضري والاقليمي، جامعة بغداد، 1999.
- حيدو, اريج جلال " **عمارة الاديرة: دراسة مقارنة لعمارة الاديرة التراثية وتطورها الحضاري في العراق**" رسالة ماجستير, قسم الهندسة المعمارية , جامعة بغداد, 2006.
- دي سوسير، فرديناند، ***علم اللغة العام*** ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز، دار افاق عربية، بغداد، 1985.
- الرازي، محمد بن ابي بكر، ***مختار الصحاح*** دار الرسالة الكويت، 1983.
- رشا جورج ايليا، "**التنمية الحضرية للمناطق القديمة واعادة تأهيلها، دراسة لحوض شارع الرشيد**" اطروحة ماجستير/ جامعة بغداد، 2011.
- زكريا ابراهيم، ***مشكلة البنية: اضواء على البنيوية*** دار مصر للطباعة، القاهرة، 1976.
- الزواوي بغوره ***المنهج البنيوي – بحث في اصول والمبادئ والتطبيقات*** دار الهدى ، عين المليلة ، الجزائر ، 2001
- السامرائي، عبد الجبار محمود، "**شارع الرشيد: تاريخه وبعض تراثه**"، تقديم حمودي، باسم عبد الحميد، شارع الرشيد، دار الشؤون الثقافية ، 2002.
- السلق، غادة موسى رزوقي، ***بحث بغداد المدورة 1250 عام / المؤتمر الدولي بغداد (مدينة السلام) في الحضارة الاسلامية***، اسطنبول، 2008.
- شومسكي، نعوم، ***جوانب من نظرية النحو*** ترجمة د. مرتضى جواد باقر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة البصرة، 1985.
- صلاح فضل، ***نظرية البنائية في النقد الادبي*** دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987.
- صليبا، جميل، ***المعجم الفلسفي*** ج1، دار الكتب اللبناني، بيروت، 1982.
- عبد التواب محمد قحطان قائد، ***البنية التحويلية في العمارة اليمنية***، اطروحة ماجستير كلية الهندسة، جامعة بغداد، 2001.
- عماد عبد السلام رؤوف، "**الأصول التاريخية لمحلات بغداد**"، مكتبة المثنى، بغداد، 2004.
- العلي، صالح احمد "**معالم بغداد الادارية والعمرانية**" **دراسة تخطيطية**"، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988

- غازي رجب محمد، "**العمارة العربية في العصر الاسلامي في العراق**" جامعة بغداد/ كلية الآداب، 1989.
- فرنسيس, بشير, "**بغداد تاريخها واثارها**" , مديرية الاثار العامة, بغداد, 1959.
- الكتبي، سليم حسن، *منهج البحث العلمي في الرياضيات: منهج تفكير* دار الكتب والوثائق، بغداد، 1997.
- كمونة، د. حيدر "**مشكلة الحفاظ على الأسواق التراثية في المدينة العربية المعاصرة / حلول ومعالجات**" بغداد، 1991.
- كوك , ريجارد, ترجمة فؤاد جميل ومصطفى جواد , "**بغداد مدينة السلام ,بغداد** , 1962.
- كيرزويل، اديت، *عصر البنيوية من ليفي شتراوس الى فوكو* ترجمة: جابر عصفور، دار افاق عربية، بغداد، 1985.
- ليسنر , يعقوب, ترجمة صالح احمد العلي, "**خطط بغداد : في العهود العباسية الاولى**", مطبعة لمجمع العلمي العراقي, 1984.
- **مجلة المورد**، العدد الخاص (بغداد) ، 1979،
- محمد على حسن محسن، "**اثر خصائص البنى العميقة على الخصائص البصرية لواجهات الخلايا الحضرية**"، رسالة ماجستير\ 1998.
- مصطفى جواد، وآخرون، " **بغداد**" ,نقابة المهندسين العراقية، 1969.
- المندلاوي، جمال حسن، "**شارع الجمهورية ... هموم الأمس ، آمال الغد**"، بحث منشور، بغداد، 2010.
- النقشبندي، أسامة ناصر، "**إطلالة تاريخية على شارع الرشيد**" باسم عبد الحميد، تقديم حمودي، شارع الرشيد، دار الشؤون الثقافية العامة، 2002.
- هوكز، ترنس، *البنيوية وعلم الاشارة* ترجمة مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986.
- اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب بن واضح "**البلدان الطبعة الأوربية**" ، 1982.

المصـــــــــــــــادر الانكليزية

- **Alexander, Christopher**,; **" Anew Theory of Urban Design "**, Oxford University Press; N.Y., USA. (1987).
- Cullen Gordenl, "**TownScape**", The Architectural Press, London.(1961).
- **Curran,R.,J** ; "**Architecture and the Urban Experience "** , Van Nostrand Reinheld, N.Y.,USA, (1983).
- **Gosling, D. Maitland, B**, ; **" Concepts of Urban Design** ", London; Academy Editions (1984).
- **Henry, D**., "**La lecture Morphologique**", document redige pour services techniques de l'urbanisme, Paris. (1990).
- J.C.P.,"**Old Russafa center study of conservation and redevelopment of historical center of Baghdad city** " , Baghdad,1984.
- **Lovi, David**, "**The Gestalt psychology of Expression in Architectur**e" Designing for Human Behavior, Dowden Hutchison and Ross Inc, Strodsbury Pennsylvania, U.S.A. (1974).
- **Luchinger**, Arnulf, ; **"Structuralism in Architecture and Urban Planning**",Karl Kramer, Verlag Stuhgart, (1981).
- **Lynch**, K "**The Image of the City**", the MIT Press, Cambridge, Massachusetts, (1960).
- **Oxford Advanced Learner's Dictionary of Current English** ,Oxford University Press(1974).
- **Rapoport, A**., **"Human Aspects Of Urban Form**", Pergamon Press, U.K. (1977).

- **Rapoport, Amos**, **"Urban Design And Human Systems : On Way Of Relating Building To Urban Fabric**", University of Wisconsin–Milwaukee,USA. (1981).
- **Rossi, A.**, ; "**The Architecture of the City**", Opposition Books, Cambridge, Massachusetts (1982).
- **Rowe, Colin**; **"College City"** ; MIT Press, Cambridge, Massachusetts. (1998).
- **Salingaros**, Niko **"Theory of Urban Web"**, on line article. (2002).

المـــــواقع الالكترونيـــــة

http://www.changzhou.gov.com
http://www.danheller.com
http://www.galenfrysinger.com
http://www.iiraqna.com
http://www.ikhwan.net
http://www.masajediraq.com
http://www.mmons.wikimedia.org
http://www.weekly-rentals.com
https://www. Library.omar.alsamra2e.com مكتبة الصور النادرة
https://www.algardenia.com
https://www.google.iq/search
https://www.iraker.dk.com
https://www.karemlash.net